(٣) هدم مسجد (بابرى) فى الهند[١]

الخطبة الأولى:

أما بعد فيا أيّها الإخوة المسلمون:

قُدّر على جيلنا هذا أن يعيش مآسى المسلمين فى كلّ مكان. ولا أدرى: أكان من حسن حظّنا أم من سوئه، أنّ عصرنا يسمّى عصر الاتصال والاقتراب؟! حتى وصف بعض الأدباء العالم بأنّه قريتنا الكبرى!

لا يحدث حادث فى مشرق أو مغرب، فى شمال أوجنوب، إلاّ وعرفه الناس بعد لحظات، وكالات الأنباء تطيرّ الحادث بالصوت وبالصورة.

ولهذا فنحن نرى مآسى المسلمين ونتابعها، نسمعها بآذاننا، ونشاهدها بأعيننا، كأنّنا نعيشها. فمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، عاش فى هذه الهموم، همّاً بعد همّ، ومأساة بعد مأساة!

لم نفرغ من مأساة البوسنة والهرسك، لم نفرغ من مأساة فلسطين والمسجد الأقصى – المأساة المزمنة الدائمة، قضيّة المسلمين المركزيّة الأولى – لم نفرغ من مأساة الصومال، لم نفرغ من مأساة كشمير وجامو، لم نفرغ من مآسى الجائعين الذين يهلكون جوعاً فى بلاد شتّى.

مآسى وكوارث معظمها فى بلاد المسلمين.

حيثما فتحت المذياع، أو شاهدت التلفاز، وجدت أخبار المسلمين تحزّ فى القلب حزّا، تصيب القلب فى أعماقه، إذا كان لنا قلوب.

---

(١) كان ذلك فى السادس من ديسمبر عام ١٩٩٢م، وفى مدينة (أيودهيا) بشمال الهند على أيدى متطرّفين هندوس، وقد أدّى تدمير المسجد إلى أعمال عنف دينيّة أوقعت ألفى قتيل وشوّهت سمعة الهند. وكشفت التحقيقات عن تورّط عدد من الوزراء والمسئولين الكبار من الهندوس فى هذه الحادثة من بينهم: وزير الداخلية لال كريشنا أدفانى، ووزير الرياضة أوما بهارتى، ووزير تنمية الموارد البشرّية مورلى مانوهار جوشى، ولا تزال لجنة التحقيق الرسميّة تحتفظ بصورهم وأصواتهم مسّجلة على أشرطة الفيديو وهم يهتفون لهدم المسجد (صحيفة أخبار الخليج البحرينيّة: العدد ٨٢٩٤ الصادر فى ١١ رمضان ١٤٢١هـ / ٧ ديسمبر ٢٠٠٠م) و(رسالة الإخوان: العدد ١٦٩ الصادر فى ٢ رمضان ١٤٢٠هـ/ ١٠ ديسمبر ١٩٩٩).

أحدث المآسى – وليست بحديثة – هى مأساة مسجد (بابرى) بالهند، المسجد الذى هدمه الهندوس عبّاد البقر وعبّاد الأصنام، على مرأى ومسمع من مليار وربع مليار أو أكثر من المسلمين فى أنحاء العالم، سمعنا الخبر بآذاننا وشاهدناه بأبصارنا فى التليفزيون.

كان المسلمون قديماً تحدث لهم مآسى، وقلّما يعرفون عنها إلاّ بعد أن تحدث بمدة، لم يكن هذا التواصل العالمى.

هُدم المسجد الذى صار له خمسة قرون، بناه ذلك السلطان المسلم العظيم (ظهير الدين بابر) أحد ملوك المسلمين العظماء فى الهند، وأحد أولئك الأبطال الذين تركوا بصماتهم على تاريخ الهند.

كان هناك السلطان محمود الغزنوى ، والسلطان شهاب الدين الغورى، وهذا السلطان (ظهير الدين بابر التيمورى) المنسوب إلى تيمورلنك.

من روائع هذا الدين أنّ التتار (المغول) الذين قضوا على الخلافة العباسيّة فى بغداد، وأسالوا الدماء أنهاراً، حتى كانت تسيل من الميازيب، هؤلاء انتصر الإسلام عليهم بعد ذلك مرّتين: انتصر عليهم عسكرياً فى (عين جالوت) بقيادة سيف الدين قطز وجيش مصر، وانتصر عليهم معنوياً حين دخلوا فى دين الله مختارين. فى أوّل الأمر لم يكونوا حسنى الإسلام، ثم حسن إسلامهم، وكان لهم دور فى تاريخ الإسلام وخصوصاً فى الهند.

حكموا الهند قروناً، فتركوا فيها آثارهم، هم الذين أدخلوا إلى الهند مالم يكن معروفاً فى ذلك الوقت.

معظم الآثار التى تفخر بها الهند وتعتبرها من معالم حضارتها، ومن آثار عمرانها ومدنيتها، ومن جاذبات السياحة التى تجذب إليها الناس من شرق وغرب: تاج محل إحدى عجائب الدنيا السبع[1]، القلعة الحراء، منارة قطب الدين فى دلهى[2]، المنارات الأربع فى حيدر آباد، وغيرها وغيرها، هذه الآثار والمعالم كلها إسلاميّة.

---

(١) بناه الملك (شاه جهان) أحد ملوك الهند، وأراد به تخليد ذكرى زوجته (ممتاز محل) التى لم يكن لحسنها نظير فى الحسن، ولا لحبه إيّاها مثيل فى الحب.

(٢) كان قائداً للسلطان شهاب الدين الغورى الذى ملك شمال الهند، ثم ولى الملك من بعده، وهو الذى فتح (دلهى) وبنى فيها منارته المشهورة التى يقف اليوم أمام عظمتها كلّ سائح يرد الهند.

المسلمون فى الهند تركوا آثارا دالة عليهم، كانت الهند فى عزلة عن العالم، لا تأخذ من العالم شيئاً ولا تعطى شيئاً، المسلمون هم الذين وصلوها بالعالم. كانت فى حالة خمود وركود، المسلمون هم الذين حرّكوها، هم الذين أحيوا الزراعة، وحفروا القنوات، وصنعوا البرك، و أدخلوا كثيراً من أنواع المزروعات والزهور، وجمّلوا الحياة، وأنشأوا الحدائق، وبنوا المساجد، وأسّسوا المدارس والمعاهد.

اعترف بذلك المؤرّخون الهنود أنفسهم والمؤرّخون العالميون، (جواهر نهرو) اعترف بفضل المسلمين على الحياة الثقافية والاجتماعية فى الهند.

هذا المجتمع الذى يعيش على نظام الطبقات: مابين البراهمة الذين خُلقوا من فم الإله، والمنبوذين الذين خلقوا من أقدام الإله، أو لم يُخلقوا من الإله قط!!!

عرف الهنود المساواة الحقيقيّة حينما دخل الإسلام الهند، مسّتهم نفحة من التوحيد فدخل الملايين وعشرات الملايين فى الإسلام مختارين.

الإسلام هوالذى عرّفهم الحياة الاجتماعية، عرّفهم كيف يحترمون المرأة، وقد كانت المرأة عندهم شيئاً من الأشياء أو متاعاً من الأمتعة، كما هى نظرة الجاهليّات عموماً إلى المرأة.

صنع الإسلام الكثير بالنسبة للهنود، وكان من الذين أثّروا فى تاريخ الهند هذا الرجل بانى هذا المسجد، الذى حاول أن يجمع أمراء المسلمين، فقد أراد بعض ملوك الهندوس المشركين أن يفرّقوا بين المسلمين بأن يتولّوا بعضهم ويعادوا بعضهم ويضربوا بعضهم ببعض، فوقف هذا الملك العظيم ضد هذه التفرقة، وحاول أن يجمّع المسلمين، وانتصر على الخونة من أمراء المسلمين.

لذلك تجمّع كلّ ملوك الشرك على (ظهير الدين بابر) ليقتلعوا جذوره، ولكن الرجل أبى إلاّ أن يقاتل وجمّع رجاله وقال لهم: هل تبايعوننى على أحد أمرين: النصر أوالشهادة؟ – البيعة التى بايع عليها النبى ﷺ أصحابه تحت الشجرة بيعة الرضوان – قالوا: نبايعك، فوضع المصحف، وكان هو أوّل من أقسم عليه، وأوّل من بايع، وبايعه رجاله وجنوده، وقد نصرهم الله على الشرك.

وكان من الاصلاحات العظيمة التى صنعها ومن مشروعاته الكبيرة: بناء هذا المسجد (مسجد بابرى) نسبة إلى (ظهير الدين بابر).

ولذلك فالمسألة ليست فى أنّ هناك معبداً يريدون أن يقيموه، هذه خرافة.. أسطورة، المؤرّخون المحقّقون قالوا: لم يكن هناك معبد.. هذه أسطورة، كالتى تشيع أحياناً فى بعض قرى الريف ويقول بعض النّاس: قد جاءنى فى المنام من يقول إنّ فى الحقل الفلانى أو الغيط الفلانى قبر ولىّ من الأولياء، ويذهب بعض الجهلة والغوغاء ليقيموا قبراً على شيىء لا حقيقة له، إنه وهم من الأوهام وأسطورة من الأساطير.

ومع هذا فالواقع يفرض نفسه، وهذا مسجد للمسلمين صار له قرون يصلّون فيه ويقيمون فيه الجمع والجماعات، وتقام فيه الدروس،وتخطب فيه الخطب، فكيف يهدم والمسلمون يرون ويسمعون ويشاهدون؟ ما الذى حدث؟

لقد عرفنا أنّ مسجداً يمكن أن يهدم والحرب قائمة، ورحى الحرب دائرة، تنزل عليه قنبلة تهدمه أو نحو ذلك. يمكن أن ينزح ناس من منطقة، فيتركوا مسجدهم فيحوّله أعداؤهم إلى متحف من المتاحف، أو إلى كنيسة من الكنائس، كما صنع بمساجد المسلمين فى الأندلس، بعد أن أجبر المسلمون على التنصّر أو الهجرة أو القتل - يختارون إحدى هذ الثلاث - فتركوا مساجد عامرة وجوامع شامخة، فمنها ما حُوّل إلى متاحف، أو حوّل إلى كنائس، أو حوّل إلى أشياء أخرى.

رحم الله أبا البقاء الرندى الذى رثى الأندلس بعد سقوط غرناطة آخر مدن الأندلس فى قصيدته الشهيرة التى ينبغى أن يحفظها أبناء المسلمين ويتغنّوا بها، حينما قال:

لكلّ شيئ إذا ما تمّ نقصان ... فلا يغرّ بطيب العيش إنسان

تلك الأمور كما شاهدتها دول ... من سرّه زمن ساءته أزمان

إلى أن قال:

تبكى الحنيفيّة الغرّاء من أسف ... كما بكى لفراق الإلف هيمان

حتى المحاريب تبكى وهى جامدة ... حتى المنابر ترثى وهى عيدان

على بلاد من الإسلام خالية ... قد أقفرت ولها بالكفر عمران

حيث المساجد قد صارت كنائس ما فـيـهـنّ إلاّ نواقـيس وصلبـان
لمثل هذا يذوب القلب من كـمـد إن كـان فى القلب إسـلام وإيمان

هذا مـا رثاه أبو البـقـاء الرندى عن مـسـاجـد الأندلس، وقـد قـتل أهلوها أوهجرّوا أو أُجبروا على التنصّر الظاهرى فى أوّل الأمر، إلى أن تحول بمرور السنين إلى تنصر حقيقى. ثمّ ذهب الإسلام من تلك البلاد التى عاش فيها أكثر من ثمانية قرون، وأقام المسلمون فيها حضارة رفيعة البنيان.

أمّا مشكلتنا أو مأساتنا هذه، فهى مأساة مسجد أهله باقون لم يرحلوا، وليس هناك حرب دائرة، ولا قنبلة تسقط.

أن ينوى أناس ويصمّموا ليهدموا مسجد المسلمين، والمسلمون أحياء ينظرون ويشهدون، هذا ما لم نره ولم نسمع به! هذا تحدّ لهذه الأمّة، هذا اختبار لقوة هذه الأمّة.

أهذه الأمّة حيّة أو ميتّة؟ أهذه الأمّة نائمة أم يقظى؟ أهذه الأمّة ساكنة أم متحرّكة؟ أهذه الأمّة تسمع أم بها صمم.. تنظر أم بها عمى؟ ما الذى يحدث؟

ألف مليـون أو يزيدون، بضع وأربعـون دولة أو تزيد، مـا بال هؤلاء لم يتحرّكوا كما ينبغى؟ احتجّوا، ولكنّه احتجاج هامس ضعيف خافت، نريد احتجاجاً جهيراً صارخاً يسمع الصمّ، إن الهمس ينيم اليقظان، لكن الصراخ يوقظ النّائم.

لانريد نوح الحمام، نريد زئير الأسود. نريد دوّياً يملأ الآفاق، ويُسمع هؤلاء الناس أنّ المسلمين لا زالوا أحـيـاء، وأنّ المسلمين لحـمـهم مُـرّ، وأنّ المسلمين يغضبون لمقدّساتهم، وأنّ المسلمين يَحْمَوْنَ لحرماتهم.

لابدّ من هذا الدوى الإسلامى، أما أن تحدث احتجاجات متفرقة متناثرة حيية خجولة، فهيهات أن يكون لها صدى.

لماذا لا يجتمع المؤتمر الإسلامى؟ لماذا لا يجتمع مؤتمر القمّة؟ القضية اختبار لنا،والله لو سكتنا على ذلك لأمكن لليهـود بعـد ذلك أن يحّطمـوا المسـجـد الأقصى، وهم يعرفون أنّ المسألة لاتعدو أن تكون عدّة احتجاجات واحتجاجات ليست قويّة كما ينبغى. ثم ينتهى الأمر!

الذين يدرسون ويقرأون يعرفون أنّ اليهود قد أصدروا خريطة لإسرائيل ليس فيها المسجد الأقصى، أى أنّ هذه هى خطّتهم المستقبليّة: أن تكون القدس بلا أقصى وأن يبنوا هيكلهم المزعوم على أنقاض الأقصى، ولا نستبعد شيئاً من ذلك، كلّ الأمور التى استبعدناها قامت وتحقّقت. ما كان أحد يظنّ أن تقوم دولة لإسرائيل، رفضنا التقسيم ورفضنا غير التقسيم، وبعد مدّة من الزمن أصبحنا نقول: ليتنا قبلنا ما كان بالأمس وأول الأمس.

هذا اختبار لهذه الأمة، اختبار لقوّتها، وما يمكن أن تصنعه أمام الذين أشركوا، وما يمكن أن تصنعه أمام الذين هادوا، وهناك حِلْف نجس دنس بين اليهود والذين اشركوا، وقد خبرّنا القرآن انّهما أشدّ الناس عداوة للذين آمنوا ﴿ **لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا** ﴾[المائدة: ٨٢].

المئات الآن يقتلون، أكثر من تسعمائة قتيل، وبعضهم يُحرقون أحياء، ولا يتحرك أحد، يالله للمسلمين.

لو كان هذا المسجد كنيسة يهوديّة أو كنيسة نصرانيّة أو بيعة أو معبداً مجوسيّاً أو أىّ شيئ، لقامت له الدنيا ولم تقعد، أمّا نحن المسلمين فقد أصبحت كلّ أمورنا هيّنة. هُنّا على الناس لأنّنا هُنّا على أنفسنا، فهانت علينا مقدّساتنا وحرماتنا.

الهندوس موجودون فى بلاد المسلمين بالملايين، ويحوّلون المليارات إلى بلادهم من أيدى المسلمين، لتتحوّل هناك إلى خناجر وطلقات رصاص وسكاكين تقتل المسلمين وإلى فؤوس ومعاول تهدم مساجد المسلمين.

وطالما قلنا من قديم ما جاء فى الحديث النبوى: «لا تصاحب إلاّ مؤمناً، ولا يأكل طعامك إلاّ تقىّ»[1]، حتى المسلم العاصى ينبغى أن لا يأكل طعامك، فما بالك بالمشرك الذى لا يلتقى معك فى شيىء؟!

---

(١) رواه أحمد، وأبو داود، والترمذى، وابن حبان فى صحيحه، والحاكم وصححّه وأقرّه الذهبى، وقال النووى فى رياض الصالحين بعد عزوه لأبى داود والترمذى: وإسناده لا بأس به، وهو من حديث أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه (فيض القدير: ٦/ ٤٠٤ برقم ٩٨٠٨).

الإسلام أجاز للمسلم أن يتزوّج الكتابيّة لضرورة أو حاجة معينّة، ولكنّه لم يجز له أن يتزوّج مشركة: ﴿ **وَلا تَنكحوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَٰئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ** ﴾ [البقرة: ٢٢١].

ومع هذا يُدخل المسلمون هؤلاء إلى بيوتهم ويعايشونهم، يراوحونهم ويغادونهم، ويصابحونهم ويماسونهم!

لابدّ أن يكون لنا وقفة، وقفة مراجعة أمام هذه القضايا. لابدّ أن يعرف الناس أن المسلمين أمة واحدة، يسعى بذمّتهم أدناهم وهم يد على من سواهم، وأنّهم كالجسد الواحد إذا اشتكى منهُ عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمّى والسهر.

يجب أن نراجع أنفسنا فى مواقفنا مع كلّ من يُعادى الإسلام، ومع كلّ من يغتال حرمات المسلمين.

لابدّ من وقفة.

المسلمون متهمون بالتعصّب: المسلمون متعصبّون.. المسلمون متطرّفون.. المسلمون إرهابيّون، والمسلمون هم الذين يُذبّحون ويقتّلون، دماؤهم تُسفك، وأعراضهم تُهتك، وحرماتهم تُنهتك، ومساجدهم تدمر، وبيوتهم تهدم.

هذا هو أمر المسلمين.

يوم ملك المسلمون الهند ويوم كانوا هم حكّامها، ماذا صنعوا؟ عاشوا فى غاية من التسامح مع الفئات الأخرى من الهندوس والسيخ والمجوس والبوذيّين. كانوا أكرم الناس معهم، وأعدل الناس معهم،لأنّ هذا ما يفرضه عليهم الإسلام.

المسلمون هم الذين قاوموا الإنجليز، قاوموا الإنجليز ببسالة، وتاريخ المسلمين فى كفاح الاستعمار الإنجليزى تاريخ مشهود.

للأسف نحن المسلمين قلّما نقرأ التاريخ، وقلّما نعرف تاريخ الأمّة الإسلاميّة وخصوصاً بعد ظهور النزّعة القوميّة، قلّما نهتمّ - نحن العرب - بغير العرب، ولا نعرف ماذا صنع المسلمون الذين قاوموا الاستعمار الإنجليزى منذ السلطان (تيبو)، ذلك الرجل العظيم الذى قاوم الانجليز إلى أن قُتل، وقد أبى إلاّ أن يستشهد ولا يؤسر، وقال كلمته الشهيرة: لان أحيا يوماً وحداً حياة الأسد خيرٌ من أن أحيا مائة سنة حياة الفئران»! لم يرد أن يكون جرذاً أو أن يكون ابن آوى على حدّ تعبيره، وإنّما أراد أن يعيش أسداً، إمّا أن يعيش عزيزاً وإمّا أن يموت كريما، وقد مات.

الإنجليز عرفوا هذا، ويوم قتل السلطان (تيبو) قالوا: اليوم طابت لنا الهند.

وكان يمكن لهذا السلطان أن ينتصر على الإنجليز، وأن يهزمهم شرّ هزيمة، لولا خيانة بعض الملوك من الهندوس ووقوفهم بجوار الإنجليز المحتلّين.

المسلمون ليسوا متعصبّين، المسلمون متسامحون، وربّما كانوا متسامحين فى بعض الأحيان أكثر من اللاّزم.

لكن التعصّب إنما هو من غير المسلمين، كلّ الفئات تتعصّب ضد المسلمين ويوالى بعضها بعضا إذا كان العدو هو الإسلام. كثيرا ما يختلفون فيما بينهم، فإذا كان العدو المشترك هو الإسلام اتفقوا عليه: ﴿ **وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلاَّ تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ** ﴾[الأنفال: ٧٣]. ﴿ **وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ** ﴾[الجاثية: ١٩] ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ** ﴾ [المائدة: ٥١].

فعلينا أن يوالى بعضنا بعضا، وأن يساند بعضنا بعضاً وأن يشدّ بعضنا أزر بعض، حتى لا نؤكل لقمة سائغة، حتى لا تدوسنا الأقدام، حتى لا يفترسنا أولئك الظلمة الطغاة.

كان الناس قديماً يقولون: (أذلّ من يهودى)، كان اليهودى يُضرب مثلاً

فى الذلّة. الآن كان المثل يقول: أذلّ من مسلمة! لأنّ المسلمة تُنتهك حرمتها من صربىّ متوحش حاقد صليبى ولا يغضب لها المسلمون، ولا تجد (معتصماً) يقول لمن نادته: واغوثاه: لبيك يا أختاه! والمساجد تهدّم ولا نجد الذى يغضب لحرمة الإسلام وقدسيّات الإسلام.

أصبحنا أذلاّء للأسف.

لم هذا؟ ما الذى جعلنا نذلّ ونستخذى ونحن خير أمّة أخرجت للنّاس، وعندنا مصادر القوّة، وعندنا المقدرة أن نتبوّأ مكانتنا تحت الشمس؟

عندنا القوّة المادية، والقوّة البشريّة، والقوّة الروحيّة، عندنا كلّ القوى التى تجعل منّا أمّة عظيمة، لو أنّا استفدنا من إمكاناتنا وطاقاتنا.

يكفى أنّ عندنا الإسلام، فهل نستمسك بهذه العروة الوثقى؟ وهل تجتمع كلمتنا عليها؟ وهل نعتصم بحبل اللّه جميعاً ولا نتفرّق؟

لقد فرقتنا أهواء شتّى، ومصالح مختلفة، جعلتنا نرى هذه المآسىِ ولكننا مشغولون عنها، مشغولون عنها بأمور كثيرة: بحرب الأصوليّين. . بالنزاع الحدودىِ. . بالقتال الكروى. . بالملاهى. . وبكذا وكذا.

أمور كثيرة شغلتنا عن أخطر القضايا وأعظم المآسىِ، التىِ ينبغى أن يعيش النّاس لها وفيها صباح مساء، تؤرّق عليهم ليلهم. وتنغّص عليهم نهارهم.

أوّل ما نطلبه من المسلم هنا: الوعىِ الذى ينكّد عليه، نريد أن يحزن لمصاير المسلمين، لا ينبغى أن يضحك لناسنّ، لا ينبغى أن يبتسم لنا ثغر وهذه المآسىِ قائمة فى حياة الأمّة الإسلاميّة.

المشركون من قريش بعد أن هزموا فى بدر، حرّموا على أنفسهم البكاء والنشيج والعويل، اعتبروا هذا يخفّف عنهم، قالوا: لا بكاء ولا نشيج ولا عويل حتى نأخذ بثأرنا. خرج بعضهم فسمع من يقول شعراً ينشد فيه، فظنّ أنّه قد سُمح بقول شعر يرثون فيه الموتى ويبكون عليهم، فقيل له: إن فلاناً قد ندّ بعيره

فهو يقول الشعر يندب حظّه في ضياع البعير، فقال: يبكي بعيراً ولا يبكى قتلانا!

فعل المشركون ذلك، ولم يبيحوا لأنفسهم هذا التغنّي بشعر الحزن والبكاء إلاّ بعد أن يأخذوا بالثأر، وهذا ما فعلوه بعد أُحُد.

هذا موقف الناس الذين يريدون أن يعيشوا رجالاً أحراراً.

إنّ مسجد بابرى هذا اختبار للأمّة الإسلامية: أتغار على حرماتها أم لاتغار؟ أتستطيع أن تقول كلمة مسمعة، أم تكتفى بالهمس والقول الخافت والاحتجاج المؤدب المهذّب، الرفيق الرقيق، اللطيف الخفيف، إكراماً للهند الكبرى؟ الهند الصديقة؟

لابدّ أن يسمع الناس صراخنا وزئيرنا ودوىّ أصواتنا من أجل حرماتنا، هذا ما يجب على الأمة الإسلامية، لا ينبغى أن نتهاون في حرماتنا فتذهب كلّ حرماتنا بعد ذلك، لأنّ من فرّط في الصغير فرط في الكبير.

المسألة ليست مسألة مسجد، يمكن أن يبني المسلمون مسجدهم، ويمكن أن تبني الحكومة الهندّية مسجداً بعد ذلك، ولكن أن يُهّدم معلم من معالم المسلمين، ومسجد يتعبدون اللّه فيه صار له قرون، وتُتحدى الأمّة الإسلامّية ولا تواجه هذا التحدى. . هذا هو الخطر، الذى يمكن أن يحيط بهذه الأمّة.

أيّها الإخوة: إنّ الإسلام هو عزّنا في الدنيا وسعادتنا في الآخرة. ينبغى أن نستمسك بالإسلام ونغار على كلّ حرمات الإسلام، وعلى كلّ مقدّسات الإسلام.

لابدّ للمسلمين أن يقفوا كتلة واحدة أمام الباطل وأمام الكفر الذى يستفزّهم، ولا يبالي بهم، وكأنّهم غثاء كغثاء السيل.

ندعو الأمّة الإسلامّية أن تستمسك بالإسلام وبعُرى الإسلام، وتتنادى فيما بينها لتقف صفّاً واحداً كالبنيان المرصوص يشدّ بعضه بعضا.

أقول قولي هذا وأستغفر الله تعالى لي ولكم، فاستغفروه، إنّه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

الخطبة الثانية:

أما بعد، فقد ورد أن في يوم الجمعة ساعة إجابة لا يصادفها عبد مسلم يدعو الله بخير إلاّ استجاب له، ولعلّها تكون هذه الساعة.[1]

اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، وأصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا، وأصلح لنا آخرتنا التي فيها معادنا، واجعل الحياة زيادة لنا في كلّ خير، وأجعل الموت راحة لنا من كلّ شر.

* * *

(١) يشير الشيخ حفظه الله إلى حديث أبي هريرة المتفق عليه، أنّ رسول الله ﷺ ذكر يوم الجمعة فقال: «فيه ساعة لا يصادفها عبد مسلم وهو يصلّي يسأل الله شيئاً إلاّ أعطاه إيّاه» وأشار بيده يقلّلها. والمراد بالساعة هنا (معناها اللغوي) وهو: برهة من الزمن، ولهذا قال: وأشار بيده يقللّها. وأمّا تعيين الساعة فقد اختلف العلماء فيها اختلافاً كثيراً، وأفاض ابن القيم في ذكر أقوالهم ورجّح منها قولين: أحدهما: أنّها من جلوس الإمام إلى انقضاء الصلاة، والثاني: أنّها بعد العصر، قال: وهذا أرجح القولين. انظر (زاد الميعاد: ١/ ٣٨٨ - ٣٩٧) بتحقيق الأرناؤوط، و(المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب للقرضاوي: ١/ ٢٤١ - ٢٤٣).

(٤) طاعون الهند

الخطبة الأولى:

أمّا بعد فيا أيها الإخوة المسلمون:

يشغل النّاس فيِ هذه الأيّام حدثُ جلل، هو ذلك الطاعون الذى أصاب النّاس فيِ الهند، وأصبح يهدّد الآلاف بالموت السريع والمفاجىء.

وهذه إحدى العجائب التيِ يصنعها اللّه فيِ هذا الكون، يسلّط على النّاس الأمراض والأوبئة إذا أخلّوا بسننه أو ابتعدوا عن تعاليمه، فسرعان ما تصيبهم الآفات، وتفتك بهم الأوبئة والأمراض.

فيِ أوربّا وفيِ أمريكا وفيِ غيرهما عرف الناس مرض الايدز الذى يفتك بالملايين ويهدّد ملايين أخر، ولم يعرف النّاس له علاجاً إلى اليوم. هذا المرض أصاب النّاس نتيجة البعد عن وحيِ السماء وعن شرائع الأديان، نتيجة التحلّل الجنسيِ، نتيجة الإباحيّة التى أحلّوا فيها الزنا الذى حرّمه اللّه، وحرّمته جميع الأديان، ولم يحرّمه الإسلام وحده، حتى أنّ المسيح عليه السلام قال فى الانجيل الذى يؤمنون به: «لقد كان من قبلكم يقولون: لاتزنى، والحق أقول لكم من نظر بعينه فقد زنى»، وهو نفس ما قاله النبى ﷺ: «العينان تزنيان، واليدان تزنيان، والرجلان تزنيان، والفرج يزنى» [١]، «إنّ اللّه تعالى كتب على ابن آدم حظّه من الزنا، أدرك ذلك لامحالة، فزنا العين النظر، وزنا اللسان المنطق، والنفس تمنّى وتشتهى، والفرج يصدّق ذلك أو يكذّبه»[٢].

---

(١) رواه أحمد والطبرى عن ابن مسعود رضى اللّه عنه، قال الهيثمى: سنده جيدّ، وقال المنذري: صحيح، ورواه عنه أيضا أبو يعلى والبزآر ورواه ابن حبآن عن أبى هريرة، قال ابن حجر: وأصله فى البخارى (فيض القدير للمناوى: ٤ / ٣٩٨ بقرم ٥٧٥١) و(المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب للقرضاوى: ٢ / ٥٤٨ برقم ١٠٩٠) و(كشف الخفاء للعجلونى: ٢ / ٧٧ برقم ١٨٩٩).

(٢) رواه البخارى ومسلم وأبو داود والنّسائى، عن أبى هريرة رضى اللّه عنه، قال ابن حجر: ورواه أحمد والطبرانى أيضا (فيض القدير للمناوى: ٢ / ٢٤٦ برقم ١٧٦٢) و(شرح السنة للبغوى بتحقيق الأرناؤوط والشاويش: ١ / ١٣٧ برقم ٧٥) و(المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب: ٢ / ٥٤٨ برقم ١٠٨٩).

سلّط اللّه على هؤلاء هذا (الايدز)، ولم يستطيعوا أن يفعلوا شيئاً رغم تقدّمهم في العلوم والأدوية والتكنولوجيا، ولكن كان هذا جزاء وفاقا، لما انحرفوا به عن سنن الفطرة وسنن اللّه، وأباحوا الزنا وأباحوا الشذوذ الجنسى: أن يستغنى الرجال بالرجال والنساء بالنساء بل أن يتزوّج الرجال الرجال وتتزوّج النّساء النّساء!! ويبارك ذلك بعض القسس وتعقد لهم الكنائس هذه العقود الباطلة النّجسة!!

فلا غرو أن سلّط اللّه عليهم هذا الطاعون الذى يسمّونه (الطاعون الأبيض)، والنبى ﷺ سمّاه (الطاعون) من قديم فى الحديث الذى رواه ابن ماجة والحاكم والبيهقى عن ابن عمر، أنّه عليه الصلاة والسلام قال: «. . لم تظهر الفاحشة فى قوم قطّ حتى يعلنوا بها إلاّ فشا فيهم الطاعون، ،والأوجاع التى لم تكن مضت فى أسلافهم الذين مضوا»[1].

هذا ماحدث هناك، واليوم يحدث هذا الطاعون القديم الجديد، يحدث فى الهند، والعجيب أنّه يصيب الهندوس ولا يصيب المسلمين! ما السرّ فى هذا؟ السرّ فى هذا أنّ هذا مرض وبائى سببه ميكروب يصيب الفئران وتنقله البراغيث إلى فئران أخرى وإلى الإنسان، والهندوس من مذهبهم أنّهم لا يقتلون ذا روح، لا يقتلون فأراً ولا يقتلون برغوثاً.

الشيء الوحيد الذى يُباح قتله عندهم من ذوى الأرواح هم (المسلمون)! فهم يقتلون المسلمين فى كشمير وفى بابرى وفى بومباى وفى غيرها، أمّا تلك الأرواح من القوارض والحشرات فلا يجوز الاعتداء عليها! وعندما كنت فى الهند منذ سنوات ونزلت فى فندق يملكه الهندوس، وهو من أكبر الفنادق فى نيودلهى، كان هناك بعوض نشكو منه، وطلبنا منهم بعض المبيدات التى تقتل البعوض، فقالوا: هذا لا يوجد عندنا ونحن لا نوزّع هذه الأشياء، لأنّ البعوض روح محترمة!

ومنذ مدّة من الزمن أصابت الهند مجاعة، لأنّ الفئران أكلت القمح، وطلبوا المعونات، وجاءتهم المعونات من أمريكا وغيرها، ولكن وقف بعض

---

(١) جزء من حديث رواه ابن ماجة والبزّار والبيهقى والحاكم وصححّه ووافقه الذهبى، عن ابن عمر رضى الله عنه. انظر (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب: الحديثان ٣٩٩، ١٤٣٣).

الأعضاء فى الكونجرس الأمريكى يقولون: لماذا نعين هؤلاء النّاس وهم لا يعينون أنفسهم؟! إنّهم تركوا الفئران تأكل القمح دون أن يبيدوها.

هذا ما يصنعه هؤلاء.

ولذلك لا عجب أن انتشر هذا الطاعون بينهم هذا الانتشار الفظيع، ولكن الخطر يمكن أن يضمّ الجميع: المسلمين وغيرهم، بسبب هذه البراغيث التى تنتقل من مكان إلى مكان.

هذا الطاعون مرض وبائى خطير، والنبى ﷺ جاء عنه فى الحديث: «إذا سمعتم بالطاعون بأرض فلا تدخلوا عليه، وإذا وقع وأنتم بأرض فلا تخرجوا منها فراراً منه» (١) لا تدخلوا فيها حتى لا تعرّضوا أنفسكم للهلاك، فالمسلم لا يجوز أن يضرّ نفسه ولا أن يضارّ غيره «لاضرر ولا ضرار» (٢)، ﴿**وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا**﴾ [النّساء: ٢٩] ﴿**وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ**﴾ [البقرة: ١٩٥]، فلا يجوز أن يقحم المسلم نفسه فى الخطر.

وكذلك ينبغى حصار المرض فى أضيق نطاق، فلا يجوز أن يخرج الإنسان من القرية أو البلدة التى أصيبت بهذا الداء.

لم يكن الأقدمون يعرفون السرّ فى هذا، ولكن عرفنا ذلك ووجدناه من دلائل نبوّة محمدّ ﷺ: إنّ الإنسان قد يكون ظاهر الصّحّة فى البلد الموبوء، وهو يحمل الميكروب ولا يدرى ولا يشعر، فإذا انتقل إلى بلد آخر أصاب الأصحّاء، فلهذا طُلب من الناسّ أن يبقوا فى بلد الوباء ولا يخرجوا منه.

ولكن هذا فى القرية الموبوءة أو البلدة الموبوءة، أمّا الهند، وهى شبة قارّة كبيرة، فيجوز للناسّ البعيدين عن هذا الوباء – من أهل الخليج وغيرهم – أن يعودوا إلى بلادهم، لأنهّم ليسوا فى قرية الوباء، ويمكن أن يُعرف: هل يحملون الميكروب أو لا؟، وأن يأخذوا الأمصال الواقية قبل دخولهم إلى بلدانهم.

---

(١) رواه أحمد والبخارى ومسلم والنسّائى عن عبد الرحمن بن عوف، ورواه النسّائى عن أسامة بن زيد (فيض القدير للمناوى: ١/ ٣٨٣ برقم ٧٠٠).

(٢) رواه أحمد وابن ماجة عن ابن عباس، قال الهيثمى: رجاله ثقات، وقال النووى فى الأذكار: هو حسن وقال العلائى: للحديث شواهد ينتهى مجموعها إلى درجة الصحة أو الحسن المحتج به (فيض القدير للمناوى: ٦/ ٤٣١ برقم ٩٨٩٩).

إنّ الإسلام قد حافظ على صحّة الإنسان، ولو أنّ المسلمين اتبعوا تعاليم دينهم وأحكام شرعهم لكانوا أصحّ الأمم أجساداً، وأقواهم أبداناً، لأنّ تعاليم الإسلام تُنشىء الصحة والعافية، تُنشىء المؤمن القوى وهو «خير وأحبّ إلى اللّه من المؤمن الضعيف» (١).

إنّ أوّل ما يدرس المسلم وأوّل ما تدرسه المسلمة من فقه الإسلام: (باب الطهارة)، أى: النظافة، الطهارة مفتاح الصلاة كما أنّ الصلاة مفتاح الجنّة، الطهارة من الأحداث والطهارة من الأخباث. والطهارة من الحدث الأصغر بالوضوء، ومن الحدث الأكبر بالغسل. وهناك أسباب موجبة للغسل، وأسباب يندب من أجلها الغسل.

وينبغى للمسلم أن يغتسل ما استطاع إلى ذلك سبيلا إذا وجد بدنه عرقان أو مُتسخاً، وخصوصاً عندما يلتقى بالآخرين، ولهذا جاء فى الحديث: «غسل يوم الجمعة واجب على كلّ محتلم» (٢)، وفى الحديث الآخر: «حقّ للّه على كلّ مسلم أن يغتسل فى كلّ سبعة أيام يوماً يغسلُ فيه رأسه وجسده»(٣)، يجب على المسلم أن يغسل رأسه وجسده فى الأسبوع مرّة كحدّ أدنى.

هذا ما عرفه المسلمون فى وقت كان الرهبان النصارى فى أوربا يعتبرون النظافة ممّا يبعد عن اللّه! ويعتبرون القذارة ممّا يقرّب إلى اللّه! حتى أنّ بعضهم مدح أحد الرهبان فقال: إنّه عاش طول عمره ولم يقترف إثم غسل الرجلين! وقال: لقد كان من قبلنا يعيش أحدهم عمره ولا يبلّ أطرافه بالماء، ولكنّا وا أسفاه أصبحنا فى زمن يدخل فيه الناسّ الحمّامات!!

وإنّما دخل الناسّ هناك فى أوربّا الحمّامات عدوى من المسلمين، انتقلت إليهم من قرطبة وغرناطة والأندلس وغيرها.

الإسلام يعتبر الطهارة من الأحداث والطهارة من الأخباث - طهارة الثوب

---

(١) انظر تخريجه فى صفحة (٢١).

(٢) رواه مالك وأحمد وأبوداود والنسائى وابن ماجة عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه (فيض القدير للمناوى: ٤/٤٠١ برقم ٥٧٦٣).

(٣) متفق عليه عن أبى هريرة رضى الله عنه (فيض القدير للمناوى: ٣/٣٩٥ برقم ٣٧٤٧).

والبدن ،والمكان – من شروط صحّة الصلاة، وشاع عند المسلمين هذه الكلمة التى لم تشع عند أمّة من الأمم: (النظافة من الإيمان)، وهى مقتبسة من حديث فى صحيح مسلم: «الطُّهُورُ شطر الإيمان»[1] أى: الطهارة نصف الإيمان، وهى تشمل: طهارة البدن وطهارة القلب، الطهارة المادية والطهارة المعنويّة.

الإسلام جاء وشرع الطهارة والنظافة:

نظافة الإنسان كلّه بالغسل.

نظافة الأعضاء التى تتعرّض للأتربة وللاتساخ بالوضوء.

نظافة الشعر «من كان له شعر فليكرمه»[2].

نظافة الفم والأسنان «السواك مطهرة للفم، مرضاة للرب»[3].

نظافة الأنف بالاستنشاق، فقد شرع فى الوضوء المضمضة والاستنشاق، وهما من فرائض الوضوء فى مذهب الإمام أحمد.

الطهارة للإنسان كلّه، والنظافة للإنسان كلّه.

وشرع مع ذلك نظافة البيت: «نظّفوا أفنيتكم ولا تشبّهوا باليهود»[4].

وشرع نظافة الطريق: «مَنْ آذى المسلمين فى طرقهم وجبت عليه لعنتهم»[5].

---

(١) قطعة من حديث رواه أحمد ومسلم والترمذى عن أبى مالك الأشعرى (فيض القدير: ٤/ ٢٩٠ برقم ٥٣٤٣).

(٢) رواه أبو داود عن أبى هريرة رضى الله عنه، رمز السيوطى لحسنه و حسّنه كذلك ابن حجر فى الفتح. وانظر (فيض القدير للمناوى: ٦/ ٢٠٨ برقم ٨٩٧٤).

(٣) رواه أحمد عن أبى بكر الشافعى، ورواه أحمد والنسّائى وابن حبان والحاكم والبيهقى فى السنن عن عائشة رضى الله عنها، ورواه ابن ماجه عن أبى أمامة، ورواه البخارى تعليقاً بصيغة الجزم، وقال الهيثمى: رجاله ثقات إلاّ أن عبد الله بن محمد لم يسمع من أبى بكر، وقال ابن الصلاح: إسناده صالح، وقال البغوى: حديث حسن، قال النووى فى رياضة أسانيده صحيحه (فيض القدير للمناوى: ٤/ ١٤٧ برقم ٤٨٣٢).

(٤) رواه الترمذى جزءاً من حديث وضعّفه، وذكر الشيخ الألبانى فى تخريج (الحلال والحرام) للقرضاوى: أنّ له طريقاً آخر عن سعد بإسناد حسن.

(٥) رواه الطبرانى فى الكبير – عن حذيفة بن أسيد رضى الله عنه – بإسناد حسن، وقال الهيثمى: رجاله رجال الصحيح إلاّ شيخ الطبرانى وشيخ شيخه وهما ثقتان (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب للقرضاوى: ١/ ١٣٩ برقم ٩٨).

ولهذا اعتبر إماطة الأذى من الطريق صدقة [١]، فكلّ ما يؤذى الناس – ولو بالرائحة الكريهة – يجب أن يُزال.

ومنع النبى ﷺ البول فى الماء الراكد أو الماء الدائم، ونهى عن الاغتسال فيه، ونهى عن البول أو التبرّز في الماء أو فى موارد الماء الماء أو فى الطريق أو فى الظلّ، واعتبر هذا من الملاعن، أى: التى تجلب لعنة اللّه ولعنة الناسّ على فاعله[٢].

هكذا جاء الإسلام بالنظافة، وهى من أهم أسباب الوقاية.

وجاء الإسلام يدعو المسلمين إلى الحركة وإلى النّشاط، ويستعيذ باللّه من العجز والكسل، هكذا كان النبى ﷺ يستعيذ باللّه منهما[٣]، ويعلّم أصحابه أن يستعيذوا منهما.

واعتبر من خصائص المسلم الملتزم انّه إذا أصبح، أصبح طيّب النفس نشيطاً، أمّا غيره فيصبح خبيث النّفس كسلان [٤].

ودعا إلى البكور: «اللهم بارك لأمّتى فى بكورها» [٥]، ليتلقّى الإنسان الصباح طيّباً من يد الله تعالى قبل أن تلوثّه أنفاس العصاة، ويتلقّى هذا النّسيم المبارك من بدء اليوم، جاء الإسلام ودعا إلى هذا كلّه.

---

(١) أورد الحافظ المنذرى فى (الترغيب والترهيب) عدداً من الأحاديث الدالّة على ذلك، فلتراجع فى (كتاب الأدب / الترغيب فى إماطة الأذى عن الطريق).

(٢) ذكرت عدداً من الأحاديث الدالّة على هذه المسائل فى هامش الصفحتين ٢٣ ، ٢٤ (خطبة: الرياضة فى الإسلام).

(٣) مثلما جاء فى الدعاء المأثور: «اللهم إنى أعوذ بك من العجز والكسل، والجُبن والبُخْل، والهَرَمَ، وأعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من عذاب النار، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات» رواه أحمد والبخارى ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائى عن أنس رضى الله عنه (فيض القدير للمناوى: ٢ / ١٥٢ برقم ١٥٥٥).

(٤) من حديث متفق عليه عن أبى هريرة . كما فى (اللؤلؤ والمرجان) برقم (٤٤٤) (القرضاوى).

(٥) رواه أبو داود والترمذى والنسّائى وابن ماجه وابن حبان فى صحيحه، وقال الترمذى: حديث حسن (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب للقرضاوى: ٢ / ٥٠٠ برقم ٩٤٥).

ودعا إلى أن يداوى الإنسان نفسه إذا مرض، والنبى عليه الصلاة والسلام تداوى وأمر أصحابه بالتداوى، وحينما سأله الأعراب: أنتداوى يارسول الله؟ قال: «نعم يا عباد الله، تداووا فإنّ الله ما وضع داء إلاّ وضع له دواء، غير داء واحد: الهرم» (١).

وضع النبى ﷺ مبادى خالدة هى تعتبر حجر الأساس لقيام صرح طبىّ سليم مشيد على أسس قويّة.

النبى عليه الصلاة والسلام قررّ حق البدن بعبارات صريحة تسمع لأوّل مرّة فى جوّ الدين، كان الناس يعتقدون أنّ البدن هذا ينبغى أن يُعذّب حتى تصفو الروح. هذا ما عرفته الأديان والفلسفات السابقة: المانويّة فى فارس، والبوذيّة فى الصين، والبرهميّة فى الهند، والرواقية فى اليونان، والرهبانيّة عند النّصارى، كلّ هؤلاء جاروا على حقّ الجسم بدعوى الرقى بالروح.

ولكنّ الإسلام حافظ على الجسم، ونهى عن إرهاقه بأى وسيلة من الوسائل ولو كان بالعبادة. وحينما بالغ بعض الصحابة فى عبادة الله وصام النّهار وقام الليل باستمرار، جاء به النبى ﷺ ووقفه عند حدّ الاعتدال، وقال لعبد الله بن عمرو: «فلا تفعل، صُمْ وأفطر، وقُم ونَمْ، فإنّ لجسدك عليك حقا [أى فى الراحة]، وإن لعينك عليك حقّا [أى فى النّوم]، وإنّ لزوجك عليك حقّا [أى فى الامتاع والمؤانسة]، وانّ لزورك [زوّارك من المجتمع] عليك حقّا [أى فى الإكرام والمشاركة]، وإنّ بحسبك أن تصوم كلّ شهر ثلاثة أيّام فإنّ لك بكل حسنة عشر أمثالها...» (٢).

---

(١) رواه أحمد وأصحاب السنن وابن حبان والحاكم عن أسامة بن شريك، كما فى صحيح الجامع الصغير (٧٩٣٤) وغاية المرام (٢٩٢) للألبانى (القرضاوى).

(٢) رواه البخارى فى صحيحه عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما، ينظر (فتح البارى) كتاب الصوم، باب حقّ الجسم فى الصوم (٤/٢٥٦) ط. دار الريان بالقاهرة. وهو فى مسلم أيضا.

«فإن لجسدك عليك حقا» كلمة جديدة فى ظلّ الدين، لم يسمع النّاس مثلها من قبل، فلا يجوز أن يرهق البدن، ولا يجوز أن يُجار عليه لأىّ سبب.

ولهذا شرع الإسلام الرخص والتخفيفات، إذا كان الصوم يضرّك فأفطر، المرض سبب للرخصة، والسفر سبب للرخصة ﴿وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

ويكره الصوم بل ربّما يحرم إذا كان السفر شاقّاً، وحينما رأى النبى ﷺ رجلاً قد ظُلّل عليه والنّاس يرشّون عليه الماء وسأل عنه قالوا: يارسول الله صائم، قال: «ليس من البرّ الصيام فى السفر»[١] أى فى مثل هذا السفر الشاق. ورأى - أيضاً -رجلاً يُهادى بين ولديه، يعتمد عليهما لا يقدر على المشى وحده، فسأل عنه، قالوا: نذر أن يحجّ ماشياً، فقال: «إنّ الله عن تعذيب هذا نفسه لغنى»[٢] وأمره أن يركب.

هكذا حافظ الإسلام على الجسد الإنسانى، لأنّه مطيّة الإنسان لأداء واجباته الدينيّة والدنيويّة، فله حق: «فإنّ لجسدك عليك حقا»[٣]، عليك حق لهذا البدن: أن تطعمه إذا جاع وترويه إذا عطش وتريحه إذا تعب وتنظّفه إذا اتّسخ وتداويه إذا مرض.

هذا أوّل مبدأ أقرّه النبى ﷺ فى الجانب الصحى والطبى.

من ناحية أخرى فإنّ النبى عليه الصلاة والسلام أقرّ سنّة الله فى العدوى، العدوى سنّة من سنن الله، ولذلك قال: «فرَّ من المجذوم فرارك من الأسد»[٤]،

---

(١) رواه أحمد والبخارى ومسلم وأبو داود والنسّائى عن جابر رضى الله عنه، ورواه ابن ماجة عن ابن عمر رضى الله عنه (فيض القدير للمناوى: ٥ / ٣٨١ برقم ٧٦٦٧).

(٢) متفق عليه عن أنس (اللؤلؤ والمرجان) رقم (١٠٦٤) القرضاوى.

(٣) قطعة من حديث عبد الله بن عمرو الذى رواه البخارى فى كتاب الصوم من صحيحه، و قد مرّ قبل قليل.

(٤) رواه الشيخان عن أبى هريرة رضى الله عنه.

وجاء رجل مجذوم فى بعض الوفود يريد أن يبايع النبى ﷺ فقال له عليه الصلاة والسلام: «قد بايعناك»[1]، ولم يضع يده فى يده، ليقرّ هذه السنة.

بل أكثر من ذلك أنّه أقرّ هذه السّنّة بين الحيوانات وقال: «لا يورد ممرض على مصح»[2] الممرض: صاحب الإبل المراض بمرض الجرب، والمصح: صاحب الإبل الصحاح، والإبل حينما تلتقى عند موارد المياه تتزاحم، ويحتك بعضها ببعض، فيعدى بعضها بعضاً، وفى هذا إيذاء لهذا الحيوان من ناحية، ومن ناحية أخرى خسارة مادية، لأنه مال للإنسان.

ولهذا قال: «لا يوردن ممرض على مصح» صاحب الإبل المراض ينتظر حتى يسقى المصح إبله، ثمّ يورد إبله المريضة دون أن تختلط بالإبل الأخرى.

هذا ما جاء به الإسلام.

جاء النبى ﷺ بقوله: «من تطبّب ولم يُعلم منه طبّ فهو ضامن»[3]، أى أنّه لم يفتح الباب لكلّ من يدعى أنّه طبيب، إذا لم يُعرف عنه الطب وأنّه مختص فى هذا الأمر، فهو ضامن إذا أصاب إنساناً بشيئ.

فوقف ضد الدجالين، وضد المدعين فى هذه القضيّة.

كذلك قاوم الإسلام الطب الذى يسمّيه بعضهم: (الطب الروحانى) القائم على التمائم والكهانة والرُقى ورفض هذه الأشياء، واعتبرها من الجاهليّة ومن

---

(١) رواه مسلم فى (السلام) برقم (٢٢٣١). القرضاوى.

(٢) متفق على صحته، من حديث أبى هريرة رضى الله عنه (شرح السنة للبغوى بتحقيق شعيب الأرناؤوط: ١٢/١٦٨ برقم ٣٢٤٨).

(٣) رواه أبو داود والنسائى وابن ماجة والحاكم عن ابن عمرو بن العاص، قال الحاكم: صحيح، وأقرّه الذهبى، ورواه الدارقطنى من طريقين. ومعناه: أنّ من تعاطى الطب، ولم يسبق له تجربة فهو ضامن لمن طبّه بالدية إن مات بسببه لتهوّره بإقدامه على ما يقتل (فيض القدير للمناوى: ٦/١٠٦ برقم ٨٥٩٦).

ضروب الشرك: «إنّ الرُّقى والتمائم والتِّولة شرك»[1] «من علّق تميمة فقد أشرك»[2] «من تعلّق شيئاً وُكِلَ إليه»[3].

لا ينبغى أن يعلّق الإنسان هذه الأشياء: الخرزات والأحجبة وهذه الأشياء التى يعلّقها الناس، إلاّ إذا كانت من آيات القرآن فأجازها بعض العلماء.

إنّما تشرع الرقى - والرقى دعاء ورجاء إلى الله - ترقى المريض وتقول له ثلاث مرّات: «اللهم ربّ الناس أذهب البأس واشف أنت الشافى لا شفاء إلاّ شفاؤك..»[4] أو يقول «أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يشفيك» سبع مرات»[5]. فهذا لا بأس به، لأنّه دعاء إلى الله.

والمسلم يجمع بين الدواء المادى والدواء الروحى، فهو يدعو الله تبارك وتعالى، ولكنّه يحترم الأسباب والمُسَبَّبات.

ممّا وضعه النبى ﷺ من المبادىء المهمّة أنّه حلّ مشكلة (الإيمان بالقدر)، فقد كان فى أذهان النّاس وفى أوهامهم أنّ التداوى ضدّ التوكّل[6] وضدّ الإيمان بالقدر والرضى بالقدر، فإذا أصاب الإنسان مرض فعليه أن يستسلم له ويرضى بالقضاء، ويصبر على البلاء، ولا يستعمل الدواء!.

---

(١) رواه احمد وأبو داود وابن ماجة والحاكم والبيهقى فى الشعب عن ابن مسعود رضى الله عنه، قال الحاكم: صحيح، وأقرّه الذهبى (فيض القدير للمناوى: ٢/٣٤٢ برقم ٢٠٠٢).

(٢) رواه أحمد والحاكم وأبو يعلى بإسناد جيدّ، قال الهيثمى: رجال أحمد ثقات، من حديث عقبة بن عامر رضى الله عنه (فيض القدير: ٦/١٨٠ برقم ٨٨٥٧).

(٣) رواه أحمد والترمذى والحاكم، عن عبدالله بن حكيم، ورمز له السيوطى فى الجامع الصغير بعلامة الحسن (فيض القدير للمناوى: ٦/١٠٧ برقم ٨٥٩٩).

(٤) رواه البخارى فى باب دعاء العائد للمريض عن عائشة - حديث (٥٦٧٥) البخارى مع الفتح (القرضاوى).

(٥) رواه عن ابن عباس أبو داود فى الجنائز (٣١٠٦) والترمذى فى الطب (٢٥٨٤) وقال: حسن غريب، والحاكم وصححه على شرط البخارى ووافقه الذهبى (١/٣١٢). (القرضاوى).

(٦) من أراد التوسّع فى هذا فليراجع الكلام الممتع المفيد الذى كتبه الشيخ القرضاوى حفظه الله فى الفصل الخامس من كتابه (التوكلّ) من ٧٥ - ٩٤.

ولذلك عندما سئل النبى ﷺ : يارسول الله، أرأيت رُقىً نسترقيها، ودواءً نتداوى به، وتُقاةً نتقيَها: هل تردّ من قدر الله شيئا؟ قال: «هى من قدر الله»[1].

الأدوية التى تتداوون بها والأسباب التى تتقون بها الأمراض هى من قدر الله، فكما أنّ الله قدّر المرض قدّر الدواء، هذا من قدره وهذا من قدره.

والمسلم الفقيه هو الذى يدفع قدر الله بقدر الله، يدفع قدر الجوع بقدر الغذاء، ويدفع قدر العطش بقدر الشرب من الماء، ويدفع قدر الداء بقدر تناول الدواء.

وعندما ذهب سيّدنا عمر فى خلافته إلى الشام، قيل له – قبل أن يدخل الشام – : يا أمير المؤمنين، إنّ هناك طاعوناً انتشر فى بلاد الشام. هنا وقف عمر يفكّر ماذا يصنع؟ أيخاطر بأصحابه أصحاب النبى ﷺ و يدخل هذه البلاد الموبوءة ويعرّضهم للخطر؟ أم يرجع؟ واستشار الناس فاختلفوا عليه.

ولكنّه بنور بصيرته وفقهه الراشد وفهمه السديد للإسلام صمّم على أن يرجع، فقال له أبو عبيدة بن الجرّاح – أمين هذ الأمّة وأحد العشرة المبشّرين بالجنّة يا أمير المؤمنين أتفرّ من قدر الله؟ قال: لو غيرك قالها يا أبا عبيدة، ما كنت انتظر من مثلك أن يقول هذه الكلمة، نعم نفرّ من قدر الله إلى قدر الله، أرأيت لو كان معك إبل ونزلت واديين أحدهما مخصب والآخر مجدب، أليس إن رعيت المجدب رعيته بقدر الله وإن رعيت المخصب رعيته بقدر الله؟! فأنت تترك المجدب وترعى المخصب (أى تغلّب قدراً على قدر).

وهذا من فقه عمر رضى الله عنه.

ثمّ جاء عبد الرحمن بن عوف – وكان غائباً – فقال له: إنّ عندى علماً من رسول الله ﷺ فى هذا الأمر، وقصّ عليه الحديث: «إذا سمعتم بالطاعون بأرض

---

(١) رواه الترمذى عن أبى خزامة عن أبيه وقال: هذا حديث حسن صحيح ينظر (عارضة الأحوذى بشرح صحيح الترمذى) كتاب الطب (٨/٢٢٤) ط. دار الكتب العلمية بيروت.

فلا تدخلوا عليه، وإذا وقع وأنتم بأرض فلا تخرجوا منها فراراً منه »[1]، فعرف عمر أنه وُفّق لإصابة الحق، وقد كان موفّقاً، وكثيراً ما نزل القرآن بموافقته.

حلّ الرسول مشكلة الإيمان بالقدر حينما قال عن الأدوية: هى من قدر الله.

وشرع النبى ﷺ الرخص والتخفيفات، وحرّم كلّ ما يؤذى البدن كالمسكرات والمخدّرات، حتى الإسراف فى الطعام أو فى الشراب ﴿ **وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ** ﴾[الأعراف: ٣١]، « ما ملأ آدمى وعاءً شرّاً من بطن، بحَسْب ابن آدم أكيلاتٌ يُقمن صُلْبَه، فإن كان لا محالة، فثلث لطعامه، وثلث لشرابه، وثلث لنَفَسه »[2].

كلّ هذا حماية لبدن الإنسان أن يصاب وهو عدّة الإنسان ومطيّة فى رعاية الحقوق وأداء الواجبات.

هذا ما جاء به النبى ﷺ، جاء بكل ما يحفظ البدن. كما جاء بكل ما يحفظ العقل والروح.

واشتكى إليه بعض أصحابه ممّن كانوا مع عمرو بن العاص فى إحدى الغزوات وقالوا: يارسول الله، صلّى بنا وهو جنب! فسأل النبى عمراً، فقال: يارسول الله كانت الليلة باردة شديدة البرودة، وتذكّرت قول الله تعالى: ﴿ **وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا** ﴾[النساء: ٢٩]، فتبسم النبى ﷺ[3].

معنى هذا أنّه أقرّ فعل عمرو.

---

(١) تقدم تخريجه فى صفحة ٤٩.

(٢) رواه الترمذى وحسّنه، وابن ماجة وابن حبّان فى صحيحه، عن المقدام بن معد يكرب رضى الله عنه (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب للقرضاوى: ٢/ ٦٠٢ برقم ١٢٥١).

(٣) أخرجه أبو داود فى الطهارة ولفظه عن عمرو بن العاص قال: احتلمتُ فى ليلة باردة فى غزوة ذات السلاسل، فأشفقت إن اغتسلت أن أهلك فتيمّمت ثمّ صلّيت بأصحابى الصبح، فذكروا ذلك للنبى ﷺ فقال: « ياعمرو صليّت بأصحابك وأنت جنب »؟! فأخبرته بالذى منعنى من الاغتسال وقلت: إنّى سمعت الله يقول: « ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيما » فضحك رسول الله ﷺ ولم يقل شيئا. وإسناده قوى، وعلّقه البخارى فى صحيحه وقوّاه الحافظ، وصححّه ابن حبان، والحاكم، ووافقه الذهبى، وحسّنه المنذرى (شرح السنة للبغوى بتحقيق شعيب الأرناؤوط وزهير الشاويش: ٢/ ١٢١ - ١٢٢).

على حين أنكر على جماعة آخرين أفتوا رجلاً من الصحابة أصابته جراحة أن يغتسل رغم جراحته! فاغتسل فتفاقم عليه الجرح، وتضاعفت عليه الآثار حتى مات بسبب هذا الغسل وهو جريح. فلّما بلغ ذلك النبى ﷺ قال: «قتلوه قتلهم الله، ألا سألوا إذ لم يعلموا، وإنّما شفاء العىّ السّؤال إنما كان يكفيه أن يعصب على جرحه ويتيمم»(١).

اعتبرهم قتلة، ودعا عليهم؛ لأنّهم أفتوا بجرأة فى أمر لا يعلمونه، كان يجب أن يسألوا إذ لم يعلموا، فإنّما شفاء العىّ السؤال.

إنّ الإسلام قد جاء بهذه المبادئ لإرساء دعائم طبّ علمى موضوعى قائم على أساس صحيح، وجاء كذلك بالطب الوقائى الذى يقوم على أسباب الوقاية من الأمراض.

فلو أنّ المسلمين اتبعوا تعاليم دينهم، واتبعوا أحكام ربهم فى رعاية هذا الجسم الذى هو هبة من الله تعالى لنا، ونعمة منه علينا، ووديعة منه لدينا، لكانوا أصح الأمم وأقواها أجساما.

ينبغى للمسلمين أن يحفظوا هذه الأجسام. بحفظهم لتعاليم وحى السماء، التى فيها وحدها الشفاء من كلّ داء، لقد علّمنا النبى عليه الصلاة السلام فقال: «إنّ الله تعالى لم يُنزل داء إلا أنزل له دواءً، علمه من علمه، وجهله من جهله..»(٢) وقال: «لكلّ داء دواء، فإذا أصيب دواء الداء، برىء بإذن الله تعالى»(٣).

---

(١) رواه أبو داود عن جابر، وابن ماجة، والحاكم عن ابن عباس ورجاله ثقات وسنده قوى. انظر (شرح السنة للبغوى بتحيق الأرناؤوط والشاويش: ٢/ ١٢٠ برقم ٣١٣).

(٢) رواه الحاكم عن أبى سعيد الحذرى رضى الله عنه، ورمز له السيوطى بالصّحة، قال المناوى: ونحوه للنّسائى وابن ماجة وصححّه ابن حبان. وتتمته: «إلاّ السّام وهو الموت» ينظر (فيض القدير: ٢/ ٢٥٦ برقم ١٧٨٣).

(٣) رواه أحمد ومسلم عن جابر رضى الله عنه (فيض القدير للمناوى: ٥/ ٢٨٣ برقم ٧٣٠٦).

وبهذا فتح أبواب الأمل أمام الأطباء، وأمام المرضى، ليفتّشوا عن أدوية الأمراض، التى يعتقد النّاس أنّها مستعصية، وأنّها معضلة، وأنّه لا علاج لها.

هناك علاج، وهناك دواء، ولكن لم يهتد إليه الإنسان، ولابدّ أن يسعى للبحث عن هذا الدواء، وهو واصل إليه إذا وفقه الله الذى ﴿ **عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ** ﴾[العلق: ٥].

فتح الإسلام أمام الأطباء وأمام المرضى باب الأمل وباب الرجاء واسعاً، ﴿ **إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ** ﴾[يوسف: ٨٧].

كذلك ربط الإسلام بين صحة الجسم وصحّة النفس، ولا يصحّح النفس ويضمن لها السلامة مثل الإيمان بالله وبالدار الآخرة وبقدر الله عزّ وجلّ، ومثل التزام أحكام الشرع، فهذه وحدها هى التى تعطى الإنسان العافية النفسيّة، مع العافية البدنيّة.

وخير ما يعطاه الإنسان هى هذه العافية: صحّة البدن وصحّة النفس، وهى أجلّ النّعم على الإطلاق كما يقول ابن القيمّ رحمه الله، وفى الحديث الصحيح الذى رواه البخارى رحمه الله عن ابن عباس رضى الله عنه: «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصّحّه، والفراغ»(١).

ويقول عليه الصلاة والسلام فيما رواه الترمذى: «من أصبح منكم آمناً فى سِرْبه، معافى فى جسده، عنده قوتُ يومه، فكأنّما حيزت له الدنيا بحذافيرها»(٢)، من أعطى الأمن والعافية فى نفسه وفى جماعته، والقوت اليومى المنتظم ولو بالقليل، فكأنّما حيزت له الدنيا بحذافيرها.

---

(١) رواه البخارى والترمذى والنسائى وابن ماجة، عن ابن عباس رضى الله عنهما (فيض القدير: ٦/٢٨٨ برقم ٩٢٨٠).

(٢) رواه البخارى فى الأدب والترمذى وابن ماجة، عن عبد الله بن محصن (فيض القدير للمناوى: ٦/٦٨ برقم ٨٤٥٥) ومعنى (سربه): أى فى نفسه.

وقال النبى ﷺ : « سلوا الله العفو والعافية، فإنّ أحداً لم يُعط بعد اليقين خيراً من العافية »[١].

ولذلك شرع الإسلام أن نقول فى القنوت : « وعافنى فيمن عافيت »[٢]، وأن نقول بين السجدتين : « اللهم اغفر لى، وارحمنى، وعافنى، و اهدنى، وارزقنى »[٣]، وأن نقول فى الأدعية ا لمأثورة : « اللهم إنّى أسألك العفو العافية فى الدنيا والآخرة، اللهم إنّى أسألك العفو والعافية فى دينى، ودنياى، و أهلى ومالى، اللهم استر عوراتى، وآمن روعاتى، اللهمّ احفظنى من بين يدىّ، ومن خلفى، وعن يمينى، وعن شمالى، و من فوقى، وأعوذ بعظمتك أن أُغتال من تحتى »[٤].

أدعو الله تعالى يستجب لكم.

* * *

---

(١) رواه أحمد والترمذى عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه، ورواه النسائى من طرق أحد أسانيدها صحيح، وقد رمز السيوطى لحسنه (فيض القدير: ٤ /١٠٧ برقم ٤٧٠٠).

(٢) جزء من دعاء القنوت الذى أخرجه أحمد، وأبو داود، والترمذى وحسّنه، والنسائى، وابن ماجه، والدارمى والحاكم وصحّحه (شرح السنة للبغوى بتحقيق الأرناؤوط والشاويش: ٣ /١٢٨ برقم ٦٤٠).

(٣) رواه أبو داود واللفظ له، والترمذى وقال: هذا حديث غريب، وابن ماجة، و صححه الحاكم وأقرّه الذهبى (شرح السنة للبغوى بتحقيق الأرناؤط والشاويش: ٣ /١٦٣ برقم ٦٦٧).

(٤) رواه أبو داود واللفظ له، والنسّائى، وابن ماجة، والحاكم وقال: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبى، من حديث ابن عمر رضى الله عنهما (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب: ١ /٢٢٨ برقم ٣٤٣).

(٥) مشاهداتى فى الهند

الخطبة الأولى:

أما بعد فيها أيّها الإخوة المسلمون:

كنت فى زيارة للهند[١].. زيارة جامعاتها ومؤسّساتها العلميّة والدينيّة، وبقيت أسبوعين فى تلك البلاد الواسعة الشاسعة، ومن حقكم أن تعرفوا شيئاً عن الهند أو عن مسلمى الهند، فلا يجوز للمسلم أن يجهل حال أخيه المسلم.

المسلمون أمّة واحدة، يسعى بذمّتهم أدناهم، وهم يد على من سواهم ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[الحجرات: ١٠]، فهل يصحّ للأخ أن يجهل أحوال أخيه؟ مايجوز هذا. والحديث الشريف يقول: «من لا يهتمّ بأمر المسلمين فليس منهم، ومن لم يصبح ويمسى ناصحاً لله، ولرسوله، ولكتابه، ولإمامه، ولعامّة المسلمين، فليس منهم»[٢].

فينبغى أن نهتمّ بأمر إخوتنا المسلمين فى أنحاء الأرض، ومن هؤلاء المسلمين: أخوتنا فى الهند.

والهند تربطها ببلاد الخليج روابط قديمة وحديثة، وروابط تاريخيّة، فيجب أن تتعرّفوا على أحوال إخوانكم هناك.

الهند قارّة أو شبه قارّة واسعة، يبلغ تعدادها حالياً ما يقارب الألف مليون! وهم يتزايدون ويتناسلون. والمسلمون يقدّرون فيهم بما لا يقلّ عن مائة وخمسين

---

(١) كان ذلك فى شهر جمادى الثانية ١٤١٧ هـ - أكتوبر ١٩٩٦م.

(٢) رواة الطبرانى عن حذيفة بن اليمان رضى الله عنه، من رواية عبد الله بن أبى جعفر الرازى وهو مختلف فيه، ضعفّه بعضهم ووثقّه آخرون. وانظر (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب: ٢ / ٥١٤ برقم ٩٩٧).

رواه البيهقى عن أنس رفعه بلفظ «من أصبح لا يهتم للمسلمين فليس منهم، ومن أصبح وهمّه غير الله فليس من الله» (كشف الخفاء للعجلونى: ٢ / ٢٧٩ برقم ٢٦١٧).

وذكر الزين العراقى فى تخريج أحاديث الإحياء حديث: «من لم يهتم للمسلمين فليس منهم» ثم قال: أخرجه الحاكم من حديث حذيفة والطبرانى فى الأوسط من حديث أبى ذر وكلاهما ضعيف (٢ / ٢٠٨).

مليوناً، وبعضهم يقول: انّ المسلمين لا يقلّون عن مائتى مليون، فإنّ الاحصاءات الرسميّة تحاول ان تقلّل أعداد المسلمين حتى لا يطالبوا بحقوق أكثر. ومعنى هذا أنّ المسلمين فى الهند يكادون يقاربون أعداد المسلمين فى العالم العربى كلّه.

المسلمون فى الهند يمثلون التجمّع الثانى للمسلمين فى العالم. أكبر تجمّع للمسلمين فى العالم: فى جمهوريّة اندونيسيا التى تبلغ الآن المائتى مليون، والمسلمون يشكّلون أكثر من تسعين فى المائة (٩٠٪) من عدد سكّانها. والتجمّع الثانى للمسلمين: فى الهند، قبل باكستان وقبل بنغلادش.

ليس المسلمون إذن بالعدد الهيّن أو القليل. صحيح أنّهم أقلّيّة بالنسبة للكثرة الهندوسيّة، ولكنّهم أقلّيّة ذاتُ وزن، وذاتُ شأن، و لها أهمّيّتها، ولها تاريخ، ولا دورها فى حياة الهند.

المسلمون لهم مساجدهم وجوامعهم، لهم مدارسهم وجامعاتهم، لهم ثقافتهم ولغتهم، لهم حياتهم الخاصّة المتميزّة فى ذلك المجتمع الذى له سمات خاصّة، لا توجد فى غيره من المجتمعات..

المجتمع الهندوسى العام مجتمع وثنى تكثر فيه الأصنام والآلهة، يكاد الناس يعبدون كلّ شيئ!! هناك من يعبدون الأنهار، هناك من أنهار مقدّسة فى الهند تُعبد! هناك من يعبدون القردة! هناك من يعبدون الفرج! هناك من يعبدون الشيطان! هناك بعض الجبال تُعبد! هناك من يعبدون البقرة ويقدّسونها، وهى إذا سارت فى الشارع لا يستطيع أحد أن يمسّها، بل قال بعض الإخوة المسلمين: رأيت من يأخذ بولها وروثها ويتمسّح به!!

هذه البقرة الأنثى، أمّا الثور فإنّه يجر الأثقال ويُضرب بالسياط. الأنثى هى المعبودة، أمّا الثور الذكر فليس له قيمة، وكذلك بنت عمّها (الجاموسة)، وهى أغلى منها ثمناً وأكثر منها نفعاً وأدسم منها لبناً. هذه الجاموسة لا تُعبد، بل تسقى الأرض، وتجرّ المحراث، و تجرّ العربات، وتعمل ما تعمل. فهم يعبدون البقرة وحدها.

هذا مجتمع وثنىّ معروف.

ومن العجائب حينما كنت هناك وجدت أمام الفندق الذى أسكن فيه تمثالاً من الورق مُعدّا، قلت لهم: ماهذا؟ قالوا: فى يوم الاثنين سترى، هذا الإله

(رَاوَنْ)، والإله (راون) تقول عنه الأساطير الهندوسيّة : انّه اغتصب زوجة الإله (راما)!! و هذه المنطقة – فى شمال الهند . . فى لكنو – وماحولها تقدّس الإله (راما)، ولذلك كلّ سنة يقيمون تمثالاً للإله الذى اغتصب زوجة إلههم ويحرقونه! وفعلا رأيت بعد أيام مئات الآلاف من النّاس يتجمّعون وهم يشاهدون إحراق هذا الإله المُغْتَصب! لأنه إله شرير.

والعجيب أنّه فى جنوب الهند يحدث العكس. فى جنوب الهند يحرقون (راما) إله الشمال، هم يعبدون الإله المُغْتصَب، لأنّه الأقوى ويحرقون خصمه الأضعف (راما)، وهؤلاء وهؤلاء هندوس!

هذا من سمات هذا المجتمع الوثنى.

من سمات هذا المجتمع التناقضات الهائلة، ففيه كبار الأغنياء (المهْراَجَات) الذين يملكون المليارات، ويسكنون القصور المشيدة، ويعبثون بالملايين عبثاً، وهناك أناس آخرون لايجدون القوت، يبحثون فى أكياس القمامة وفى صناديق الزبالة عسى أن يجدوا فيها شيئاً يؤكل من فضلات النّاس!

هناك من يسكنون القصور الفاخرة، وآخرون يولدون ويعيشون ويموتون فى الشوارع! رأيت هؤلاء فى مدينة (بومباى) وفى (دلهى) القديمة.

وفى مدينة (لكنو) أمام (ندوة العلماء) و(دار علومها) على حافّة نهر (كُنتن)، وجدت الناس بنوا لأنفسهم عششاً عشوائية وظلّلوها ببعض الأقمشة، ويعيشون فيها ويبيتون فيها، وهذه هى كلّ حياتهم.

هذه الهند بلاد التناقضات : فيها الفلاسفة والدكاترة، وفيها الأمّيّون . . مئات الملايين من الأميّين الذين لا يقرأون ولا يكتبون.

ثمّ هى بلاد الطبقات، التى يولد كلّ إنسان عليها، كلّ إنسان يولد فى طبقة هى قدره الأبدى، ولا يستطيع أن يرتقى منها.

هناك أربع طبقات :

هناك الذين خُلقوا من فم الإله!

والذين خُلقوا من ذراعى الإله!

والذين خُلقوا من فخذى الإله!

والذين خُلقوا من تحت أقدام الإله! وهؤلاء هم الطبقة المنحطّة الذين يسمّونهم (المنبوذين) الأنجاس. كان الهنود قديماً لايمسّونهم ولا يقربون منهم، لأنّهم نَجَس ورجس، إلى أن قام بعض مصلحيهم وخفّفوا من هذا، وخصوصا بعد اتصال الهند بالعالم، واتصال العالم بها.

ولازال المتدينون منهم ينكرون التعامل مع هذه الطبقة، وهى تمثّل معظم الهند، أغلبيّة الهند الساحقة من هذه الطبقة المنبوذة المنحطّة التى ينظرون إلى أصحابها كأنّهم أحّط من البهائم وأذلّ من الكلاب، بل هم يعبدون البهائم ويعبدون الحيات وخاصّة حية (الكوبرا) المعروفة، وهؤلاء لم يقاربوا أن يكونوا بهائم أو يكونوا بقراً أو يكونوا حّيات!

فهذا مجتمع الطبقات، من ولد فى طبقة لا يستطيع أن يرتقى منها. يمكن أن يتعلّم ويحصل على أعلى الدرجات.. على الماجستير وعلى الدكتوراة وعلى الأستاذيّة، وربّما كان نابغة من نوابغ العلم، ويعترف له العالم ويعطيه أعلى الدرجات، يمكن أن يأخذ جائزة (نوبل) فى العلوم، ومع هذا يظلّ فى طبقته، الطبقات قدريّة لا حيلة للإنسان فيها!

هذه هى الهند.

ولذلك حينما دخل الإسلام الهند كان شيئاً جديداً وغريباً على هذا المجتمع.

دخل الإسلام الهند من وقت مبكّر.. فى القرن الأوّل الهجرى، دخلها عن طريق الفتح، وعن طريق العلماء والدعاة والتجار.

أوّل من فتح الهند هو: ذلك الشاب المسلم محمد بن القاسم بن محمد الثقفى، ابن عمّ الحجّاج الثقفى، وهو الذى أرسله إلى تلك البلاد، وهو شاب فى ريعان شبابه ومقتبل عمره. كان فى السابعة عشرة من عمرة، وظلّ يلحّ على

الحجاج ليبعثه قائداً للجيش الإسلامى، ليذهب إلى هذه البلاد، وأنا رأيت محطّة قطار بالقرب من كراتشى اسمها (محطة محمد بن القاسم) .

محمد بن القاسم هذا الشاب الطموح الذى قال فيه الشاعر:

إن السماحة والمروءة والنّدى لمحمد بن القاسم بن محمّد !

قاد الجيوش لسبع عشرة حجّة ياقرب ذلك سؤدداً من مولد !

ليعرف ذلك شبابنا الذين يعيشون فى هذه السن وليس لهم مُثُلٌ عليا، ولا آمال كبيرة يتعلّقون بها ويعيشون لها.

هكذا كان الشباب الإسلامى: أسامة بن زيد قاد الجيش وهو ابن الثامنة عشرة، وهذا قاد الجيش ودخل به فى بلاد لم يعرفها من قبل، وهو ابن السابعة عشرة!

دخل الإسلام مبكّراً فى هذه البلاد، وكانت الهند تابعة للدولة الأمويّة أولاً، ثم للدولة العباسية بعد ذلك، ثمّ للدولة العثمانيّة. ثمّ حكمها ملوك كبار من المغول، حكموا الهند نحو عدّة قرون وتركوا فيها آثاراً واضحة وبصمات بيّنة، تدلّ على رقىّ المسلمين وحضارتهم. وخصائص رسالتهم. ما كان الهنود يعرفون هذه الحضارة ولا هذه الفنون الراقية ولا هذه التحف المعماريّة.

كلّ ما تفخر به الهند الآن من آثار سياحيّة يتفرّج عليها ويطّلع عليها السياح من أنحاء العالم هو من آثار المسلمين: القلعة الحمراء فى دلهى، منارة قطب الدين، تاج محل إحدى عجائب الدنيا السبع وهو تحفة معماريّة فنّيّة لا نظير لها فى العالم، الجوامع الكبرى، الحدائق التى لا نظير لها... الخ. أشياء كثيرة جداً فى الهند وبعضها الآن فى باكستان وفى بنجلاديش، هى من صنع المسلمين، فالإسلام ترك آثاره هناك.

حكم الهند ملوك عظام أقاموا العدل، ونشروا الخير بين النّاس، وفتحوا الممالك، وأقاموا دولة العدل والإحسان، وظلّوا أكثر من ثمانية قرون.

وكان هناك تفاوت بين الملوك بعضهم وبعض، بعضهم أحياناً انحرف مثل الملك المشهور (جلال الدين أكبر)، الذى اقترب من الوثنيّة وقَرّب الوثنييّن وثار على دينه، وكاد ينسلخ من الإسلام أو قل: إنه انسلخ بشخصه من الإسلام، وكاد يسلخ الدولة الإسلاميّة فى الهند من الإسلام.

ولكنّ قيّض اللّه للمسلمين من اهتمّوا بأبنائه، علموا أنّ هذا الرجل سيذهب ويموت، فليضعوا همّتهم فى أولاده، وهكذا كان همّ ذلك العالم المجدّد الشيخ أحمد بن عبد الأحد السرهندى، الذى وجّه جهوده لتربية أبناء هذا الملك المنحرف، وفعلاً أثر فى أولاده، وظهر هذا الأثر بعد وفاة هذا الملك، وظهر فى أحفاده أكثر من ذلك، خصوصاً فى ذلك الملك العادل الذى عرف فى التاريخ باسم (عالمكير [١] أورانك زيب [٢])، وهو رجل كان ملكاً قويّاً عادلاً شجاعاً مؤمناً صالحاً، تمسّك بالإسلام فى نفسه وفيما حوله، ونشر الدعوة الإسلامية، وحكم الهند خمسين عاماً كاملة.

كان يقوم الليل، ويحافظ على الفرائض والنّوافل، ويقرأ القرآن، ويكتب القرآن بخطّه الجميل. كان يتعيّش من هذا الأمر، يأكل رزقه من كتابة المصاحف بخطّه، كان آية فى حسن الخطّ.

قال عنه العلامّة الشيخ على الطنطاوى: هو سادس الراشدين بعد عمر بن عبد العزيز[٣]. الكثيرون منّا لا يعلمون أنّه هو الذى جمع (الفتاوى الهنديّة العالمكيريّة) فى المذهب الحنفى، وهى فتاوى مشهورة، تعد من المراجع المهمة فى الفقة الحنفى.

---

(١) أى زمام العالم أو قائد العالم.

(٢) أى زينة الملوك.

(٣) انظر ماكتبه الشيخ على الطنطاوى رحمه الله عن هذا الملك العظيم فى كتابه (رجال من التاريخ) ص ٢١٠ – ٢٢٠ تحت عنوان (بقية الخلفاء الراشدين).

فهذا الرجل كان من ثمرات التربية الربانية الصالحة التى قام بها العلماء الدعاة المجدّدون المربّون.

المهمّ أن المسلمين ظلّوا حكاماً للهند إلى أن جاء الإنجليز بمكرهم وكيدهم، ودخلوا إلى الهند باسم (شركة الهند الشرقيّة)، ولا زالوا يعملون عملهم حتى أقصوا المسلمين عن الحكم. ولم يكتفوا بذلك بل مكّنوا لغير المسلمين، وحرموا المسلمين من حقوقهم.

وظل الأمر كذلك، ظل هناك صراع بين المسلمسن وغير المسلمين حتى انتهى إلى ذلك التقسيم المعروف، انقسمت الهند وخرجت إلى دولتين: هندوستان، وباكستان (التى هى الآن باكستان وبنغلادش، كانت باكستان الغربيّة وباكستان الشرقيّة).

وبقى عدد كبير من المسلمين هو الذى نتحدّث عنه الآن. هؤلاء لم يستطيعوا أن يهاجروا، ما كان يمكن أن يهاجر كلّ المسلمين إلى باكستان، هذا وجود إسلامىّ راسخ الجذور، عميق الأثر، لا يمكن أن يترك هؤلاء مساجدهم وبيوتهم ، ومدارسهم ومزارعهم وأرضهم وتاريخهم، ولذلك بقوا فى أماكنهم.

هناك بلاد فى الهند إلى الآن فيها مساجد خاوية لا يدخلها أحد، فقد هاجر أهلها أو هجّروا . والهندوس يريدون أن يحطّموها، ولكن المسلمين يقفون ضد ذلك.

يعيش المسلمون فى الهند وسط أغلبيّة من الهندوس، وهذة الأغلبيّة تغلب عليها تيارات متعصّبة وأحزاب متعصّبة.

هناك أناس علمانيونّ، لا يهمّهم أمر الدين، ولا يتعصبون له، ولا ضده. فكل انسان وما اختار لنفسه. وقد قام على هذا الأساس الدستور الهندى، فقد قالوا: إنّه دستور علمانى لا يتميّز لطائفة من الطوائف ضد طائفة أخرى. وقام على أساس ذلك (حزب المؤتمر) الشهير، الذى كان للمسلمين فيه دور كبير، والذى رأسه (جواهر نهرو) وابنته (أنديرا غاندى) وأولادها بعد ذلك.

وكان المسلمون لهم مكان بيّن فى هذا الحزب، لأنّ للمسلمين مكاناً مرموقاً فى مقاومة الإنجليز وفى معركة التحرير. كان المسلمون أعلى صوتاً فى معركة التحرير من غير المسلمين، هم الذين قادوا هذه المعارك، وعلماؤهم كان لهم دورهم:

الشيخ (محمود حسن) شيخ الهند، والشيخ (الكنكوهجى)، ومولانا (أبو الكلام آزاد) الذى حكم عليه الانجليز بالإعدام ووقف أمام المحكمة يترافع ومرافعته تحفة من تحف الأدب السياسى فى التاريخ.

كان المسلمون لهم دورهم فى معركة التحرير.

ولكن تغلّب على الهند اليوم تيارات متعصّبة كما قلت، وأحزاب هندوسيّة تقول للمسلمين: من أراد منكم أن يعيش بالإسلام فليذهب إلى باكستان، ارحلوا إلى باكستان، هذه ليست بلادكم، بلادكم باكستان. وهذا فى غاية الخطأ. فالهند وطنهم، وهم أبناؤها وهم أصلاء فيها.

بعض هذه الأحزاب المتعصّبة يحصل على مقاعد كبيرة فى البرلمان، وهم كانوا يطمعون أن يحصلوا على أغلبيّة مطلقة ولكنهّم حصلوا على أغلبيّة نسبيّة حوالى أربعين فى المائة (٤٠٪)، وهذا ليس بالأمر الهيّن أيضا، ولذلك نجد إخواننا المسلمين يحسّون بالخطر إزاء هذا التعصب المخوف.

هناك مشكلات عدّة يواجهونها: -

١ - مشكلة الدعوة الإسلاميّة:

المسلمون عاشوا دعاة فى الهند، نشروا الإسلام فى هذا المجتمع بالدعوة، الإسلام لم ينتشر بالسيف، الجيش الإسلامى دخل أماكن محدّدة وقليلة جداً، لكن سائر الناس دخلوا عن طريق الدعوة الإسلاميّة. الآن نرى المسلمين لا يستطيعون أن يدعوا بصراحة إلى الإسلام.

منذ عدّة سنوات أسلمت قرية بكاملها، وهذه هيّجت الشعور الهندوسى العام، و قامت الدنيا ولم تقعد، وذهبوا إلى أهل هذه القرية ومازالوا بهم حتى ردّوهم إلى وثنيتهم.

المسلمون فى الهند ليس لهم حرية الدعوة كما ينبغى، ولذلك كانت نصيحتى لهم أن يدعوا بالحكمة والهدوء دون إثارة ضجّة، لأنّهم حينما أسلم أهل هذه القرية نشروا فى الصحف، وعملوا الإعلانات، وهذا لا ينبغى فى مثل هذا البلد.

٢ - مشكلة الأحوال الشخصيّة:

هناك مشكلة أخرى، وهى تتعلّق بالقانون، وخصوصاً قانون الأحوال الشخصية. قانون الأحوال الشخصيّة حسب الدستور يحافظ على الشخصيّة الدينيّة للمسلمين، فللمسلمين قوانينهم فى الزواج والطلاق والإرث والنفقات وغيرها، ولا ينبغى أن يفرض عليهم ما يخالف دينهم.

ولكن ما بين الحين والحين تثور بعض القضايا، يريدون أن يفرضوا على المسلمين ما ليس من دينهم، وآخرها منذ عدّة سنوات حينما حكمت المحكمة لامرأة مطلّقة بأن تفرض لها نفقة من مطلقها طوال حياتها أو تتزوّج، إذا لم تتزوّج تظلّ تأخذ نفقة من المُطَلّق طوال الحياة.

وللأسف أنّ بعض المسلمين أعطى هؤلاء القضاة مبرّراً من قوله تعالى: ﴿**وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ**﴾[البقرة: ٢٤١]، ولكن أين هذا المتاع - وهو المتعة التى تُعطى للمرأة: مبلغ معيّن بمثابة تعويض لها، حتى يريح صدرها وضميرها - من نفقة طول الحياة، وقد أصبحت امرأة أجنبيّة بالطلاق؟!

هذا لأنّ المرأة عندهم متصلة بزوجها، بمجرّد أن تتزوّج المرأة الهندوسيّة تصبح جزءاً من كيان الزوج، تنفصل عن أبيها وأمّها، وتصبح لحمة فى زوجها. وكان المتبع من قبل أنّ المرأة تكون تبعاً لزوجها فى الحياة وفى الممات، فحينما يموت الزوج يجب على المرأة أن تحرق نفسها لتلحق بزوجها!! هذا كان المتبع، ولازال بعضهنّ يفعل ذلك إلى اليوم.

فهم عندهم هذا الأمر.

لكن الإسلام يقول: المرأة هى زوجة الرجل، هى منه وهو منها إلى أن تُطلّق. إذا طُلّقت أصبحت امرأة أجنبيّة، من حقّها أن ترتبط بغيره وأن تتزوّج غيره، وأن تعود إلى أسرتها الأصليّة.. إلى أبيها وأمّها.

فلذلك أرادوا أن يفرضوا على المسلمين قانون النفقة الأبديّة للمرأة المطلّقة.

وثار المسلمون جميعاً ووقفوا وقفة رجل واحد، وكان فى هذا الاتحاد قوّة للمسلمين، فلم يستطع القضاء الهندوسى أن يفرض ما كان يفرضه. وأنشأ المسلمون مجلساً للأحوال السخصيّة لعموم الهند، وهو يرأسه الآن العلاّمة الشيخ أبو الحسن النّدوى.

٣ - مشكلة التعليم:

هناك أيضا قضيّة تتعلّق بالتعليم، المفروض أنّ الدستور العلمانى يضمن لكلّ فئة أن تعلّم أولادها دينها بالطريقة التى تراها، وأن يكون التعليم محايداً لايفرض عقيدة من العقائد على المتعلّمين.

ولكن الذى حدث الآن أنّ التعليم أصبح يتضمّن عقائد هندوسيّة، ويدرس الطالب فى الهند كأنّها بلد هندوسىّ وثنى تماماً، وكأنّ المسلمين لا وجود لهم، ويدرس تاريخ الهند على أن لا وجود للإسلام فى هذا البلد، وبدأ يغيرّ التعليم العقليّة التى تتعلّم، وهذا ما يحجّ عليه المسلمون.

٤- مشكلة اللغة:

أيضا هناك مشكلة اللغة، المسلمون لغتهم لغة (أوردو) وهى لغة خليط من الفارسيّة والهنديّة والعربيّة، وتكتب بالحرف العربى، وهناك نجد الحكومة تريد أن تقاوم هذه اللغة وأن تحذفها من التعليم ومن الحياة؛ لأنها لغة الإسلام والمسلمين لغة الثقافة الإسلامية، والعلوم الإسلامية.

٥- مشكلة الأمن:

هناك مشكلة أخرى تتعلّق بأمن المسلمين، المسلمون باعتبارهم أقلّيّة يتعرّضون فى كثير من المحافظات والولايات إلى اضطهاد الأكثريّة، وتقوم بين الحين والحين اصطدامات دمويّة عنيفة.

ولا زلنا نذكر جامع (بابرى) الذى هُدّم، وخطبت فى شأنه خطبة من فوق هذا المنبر[1]، وكيف هدّمه هؤلاء بزعم أنّه كان تحته معبد لإله من آلهتهم! وهذه حُجّة يقولونها كلّما أرادوا أن يهدموا أثراً من الآثار الإسلامية بزعم الأساطير التى عندهم، والتى ليس لها حقيقة تاريخيّة.

٦ - المشكلة الاقتصاديّة والسياسية:

وهناك المشكلة الاقتصادية والسياسية، فالمسلمون لا يأخذون حقّهم بنسبتهم العدديّة فى وظائف الدولة، لا يأخذون حقّهم فى الجيش ولا فى الشرطة ولا فى الوظائف الإداريّة ولا فى غيرها. وهذا يؤثر على الوضع الاقتصادى للمسلمين، فكأنهم ليسوا مواطنين فى الدولة، بحيث ينتفعون بجيرانها، كغيرهم. قليل من المسلمين يمسكون ببعض الوظائف الكبيرة، وهؤلاء من بقايا العهد الإنجليزى، وأمّا فى عهد الاستقلال فيكادون يطردون المسلمين من هذه الوظائف.

وكلّ هذا يشكّل خطراً على الجماعة الإسلاميّة فى الهند، ولا ينقذ المسلمين من هذا إلاّ أن يتوحّدوا، وأنا قلت هذا حينما كنت هناك، وقلت لهم هذا من قبل.

وأنا زرت الهند خمس مرّات، وفى إحدى المرّات حضرت أكبر تجمّع فى حياتى فى الاحتفال بمرور مائة وخمسة عشر عاماً على تأسيس جامعة (ديوبند) التى يسمّونها (أزهر الهند)، وحضر هناك نحو مليونىْ شخص، أكبر تجمّع رأيته فى حياتى، و تكلّمت كلمة وقلت لهم: أنتم أقلّيّة، ولكنكم لستم بالعدد القليل، أنتم التجمّع الإسلامى الثانى فى العالم، ولا يمكن أن تقوم لكم قائمة إلاّ إذا توحدتم، أنا أعرف أن الأقليات فى العالم كلّه تتضامّ وتتلاحم وتتوحّد فيما بينها لتحافظ على هويّتها وشخصيّتها وحرماتها وحقوقها أمام الأكثريّة، وإلاّ

---

(١) انظرها فى هذا الجزء من ص ٣٦ إلى ٤٦.

أُكلت وسُحقت وديست بالأقدام. كلّ الأقليّات تتجمّع وتتوحّد إلاّ الأقليات الإسلاميّة للأسف.

قلت: وأنتم مَثَلٌ لهذا، أنتم عدد ضخم (مائة وخمسون مليوناً أو يزيدون) لماذا لا تتحدون؟ لماذا لا تقفون صفّاً واحداً كالبنيان المرصوص؟ كُن ما شئت من خرّيج أىّ جامعة من ديوبند، أو من مدرسة مظاهر العلوم، أو من الإصلاح، أو الفلاح، أو ندوة العلماء.. كُن من أهل الحديث، أو من الجماعة الإسلاميّة، أو من جماعة التبليغ أو من أىّ جماعة شئت، ألست مسلماً تشهد أن لا إله إلاّ الله وأنّ محمداً رسول الله؟

لماذا لا نجتمع على ما يصير به المسلم مسلماً.. على الحدّ الأدنى من الإسلام؟ يكفى أن نكون من أهل القبلة، لنقف معاً ضد هذا التيار الذى يريد أن يقتلعنا من جذورنا، لا يجوز أن نقف مكتوفى الأيدى أمام هذا المكر الكُبّار، والكيد العظيم، الذى يكيده لنا أعداؤنا، وقد حدّدوا الهدف، ووضعوا الخطط، وقدّروا المراحل، وشرعوا فى التنفيذ، و بدأت تظهر النتائج.

لا يجوز لنا أن نقف متفرّجين، أو نُصمّ آذاننا، ونُغشِ أبصارنا، وندفن رؤوسنا فى الرمال، والحقائق تواجهنا، والمصير يزعجنا ويقلقنا. لابدّ أن نقف ونحدّد أيضا هدفنا ونضع خططنا، نستطيع أن نفعل الكثير، لابدّ أن نرقى بمستوى المسلمين فى الهند.. المستوى الثقافى والتعليمى.

قلت للمسلمين هناك: أطلقوا أبناءكم وبناتكم من تلاميذ الجامعات والمدارس فى العُطَل، يعلمّون المسلمين والمسلمات ألف باء القراءة والكتابة، يمحون الأمّيّة. لا يجوز أن يبقي المسلم فى هذا العصر أمّيّاً لا يقرأ ولا يكتب، لابدّ من حملة يقودها العلماء والدعاة لرفع المستوى الفكرى والتعليمى لهذه الأمّة.

ومن ناحية أخرى: يجب أن نرفع المستوى الاقتصادى للمسلمين، بمعنى أنّه لابدّ أن يتعاون المسلمون فيما بينهم لإنشاء مؤسّسات وشركات. قد لا

يستطيع الفرد وحده أن يصنع شيئا، ولكن القليل على القليل كثير، والبحر من قطرات، والجبل من حصيات، فلابدّ أن نتعاون فيما بيننا حتى نرفع شأن المسلمين اقتصادياً.

ولابد أن نرفع من شأن المسلمين اجتماعيّاً، بمعنى أنّ بعضنا يساعد بعضا، القوى يأخذ بيد الضعيف، والمليء يصبّ على الفارغ، والغنى يعطف على الفقير، فنحن أمّة واحدة، و«المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدّ بعضه بعضا»[1].

لابدّ أن نخطّط للمستقبل، ونتجمّع فيما بيننا، و ننسى الخلافات الجانبيّة والمعارك الجزئيّة، ونقف للمعركة الكبرى معركة الوجود الإسلامى: هل نكون أو لا نكون؟ هل نبقى فى الهند أو لا نبقى؟ هل تظلّ (الله أكبر) و(لا إله إلاّ الله) ترتفع بها المآذن أو لا؟

هذه هى القضيّة الأساسيّة، و هذا ما ينبغى أن نقوله لإخواننا ونكرّره.

وأحمد الله أنّى وجدت كثيراً من الوعى وكثيرا من الاهتمام، وأصبح المسلمون يعرفون الخطر الذى يواجههم، ولابدّ أن يواجهوا هذا الخطر، خطر التعصب والكراهية ضد الوجود الإسلامى.

إنّهم الآن – أى الهندوس – لا يسمحون بإقامة مساجد فى المناطق الجديدة وكثيرا ما تكون شاسعة واسعة.. سرت فى مدينة (حيدر آباد) العريقة، المدينة القديمة أجد فيها مساجد، والمدينة الجديدة لا أجد فيها أية مساجد، قلت لهم: ألا يوجد هنا مسلمون؟ قالوا: يوجد كثيرون، قلت: أين يصلّون؟ قالوا: يصلّون فى المدينة القديمة، قلت: ولم لا يكون لهم مساجد؟ قالوا: السلطات لا تسمح بإقامة مساجد! بل بالعكس هم يريدون هدم المساجد القديمة إن استطاعوا بحجّة

---

(١) رواه البخارى ومسلم والترمذى والنسّائى، كلّهم عن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه. والمراد من الحديث كما أوضح العلامّة المناوى: بعض المؤمنين لبعض كالبنيان أى المؤمن لا يتقوّى فى أمر دينه ودنياه إلاّ بمعرفة أخيه كما أن بعض البنيان يقوّى بعضه (فيض القدير: ٦/٢٥٢ برقم ٩١٤٣).

أو بأخرى. يستطيع المسلمون أن يقيموا المساجد الصغيرة فى القرى بعيداً، أمّا فى المدن فلا يستطيعون شيئا.

لابدّ للمسلمين إذن أن يواجهوا مصيرهم بشجاعة، وبذكاء، وبعقل وحكمة.

وعلى المسلمين فى العالم العربى والعالم الإسلامى أن يشدّوا أزرهم.. أن يقفوا وراءهم.. أن يُشعروا الهند أنّ هؤلاء المسلمين جزء منهم. لا يجوز لكل جماعة أن تعيش وحدها، ولكلّ شعب أن يتصرّف وكأنّه وحده فى العالم، لو فعلنا ذلك لأُكلنا وانتهكت حرماتنا، وضيّعت حقوقنا.

نحن إنّما نكون قوّة إذا اتحدنا، الاتحاد يقوّى القلّة، والتفرّق يُضعف الكثرة. الكثرة تضعف بتفرّقها، والقلّة تقوى باتحادها، والله تعالى قد حذّرنا من التفرّق: ﴿ **وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ** ﴾[آل عمران: ١٠٥]، وليس الأمر مقصوراً على سوء العاقبة فى الآخرة ﴿ **يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ** ﴾[آل عمران: ١٠٦]، ولكن سوء العاقبة فى الدنيا أيضا، فقد قال تعالى: ﴿ **وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ** ﴾ [الأنفال: ٤٦].

وقال ﷺ: «لا تختلفوا فإنّ من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا»(١).

أقول قولى هذا، واستغفر الله تعالى لى ولكم، فاستغفروه من كلّ ذنب، إنّه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

الخطبة الثانية:

أمّا بعد فيا أيها الإخوة المسلمون:

من أركان الإسلام: إيتاء الزكاء، هى الركن الثالث فى الإسلام بعد الشهادتين وإقامة الصلاة.

---

(١) متفق عليه من حديث ابن مسعود (القرضاوى).

وقد قرن القرآن الزكاة بالصلاة في ثمانية وعشرين موضعاً، منه قوله تعالى: ﴿**فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ**﴾[التوبة: ٥] لا يُخلى سبيل المشرك إلاّ بالتزامه بالبعد عن الشرك وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة.

وفي الآية الأخرى: ﴿**فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ**﴾[التوبة: ١١] لا يستحق المرء أخوّة المسلمين الدينيّة إلاّ بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة.

ولا يستحق رحمة الله إلاّ بإيتاء الزكاة وإقامة الصلاة: ﴿**وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ**﴾[الأعراف: ١٥٦]، ﴿**وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ**﴾[التوبة: ٧١] لا يستحق رحمة الله إلاّ من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر وأقام والصلاة وأتى الزكاة.

وقد أقامت وزارة الأوقاف صندوقاً للزكاة، فمن ليس له أقارب يعطيهم أو أناسٌ يعرفهم تماماً، فليدفع إلى هذا الصندوق، وليبرىء ذمّته، ولا يجوز أن يغلبه الشح وحب الدنيا وحبّ المال، ويضيّع حقّ الله تبارك وتعالى، فلا يكسب في دنيا ولا أخرى.

أسأل الله تبارك وتعالى أن يفقهنا في ديننا، وأن يعلّمنا ما ينفعنا، وأن ينفعنا بما علّمنا، إنّه سميع قريب.

* * *

(٦) القنبلة النوويّة الباكستانيّة وقضيّة كشمير[1]

الخطبة الأولى:

أمّا بعد فيا أيّها الإخوة المسلمون:

تزاحمت عليّ في هذه الأيام الموضوعات التي تفرض على الإنسان المسلم أن يتحدث عنها، أو يعلّق عليها، ويذكّر إخوانه المسلمين بها، وبواجبهم نحوها.

أأتحدث عن قضية المسلمين الأولى التي مازلنا نبدىء فيها ونعيد، ولن ينتهي الحديث عنها: قضيّة فلسطين.. قضية القدس.. قضيّة المسجد الأقصى، التي تتعرّض لأشدّ الأخطار، والتي لا نجد للأسف من يقوم بشأنها كما يجب القيام إلاّ أولئك الأبناء الذين وضعوا رؤوسهم على أكفّهم وأرواحهم في أيديهم، وقد باعوها لله عزّ وجلّ: أبناء حماس والجهاد، ومن عدا ذلك فهم في غفلة لاهون، وفي غمرة ساهون.

على حين يقول (نتنياهو) بصريح العبارة لا بالإشارة: لست مقتنعاً بالسلام مع العرب! ولا زال يؤكد أنّ ملك إسرائيل (من الفرات إلى النيل) ولا زال رجال الكونجرس الأمريكي يعلنون أنّ سفارة أمريكا ستنتقل إلى القدس في العام المقبل.

هل نتحدّث عن هذه القضيّة؟

أو نتحدث عن قضيّة أخرى فرضت نفسها في تلك الأيام: قضيّة إندونيسيا؟ أكبر بلد إسلامي تعرّض للمؤامرات وتعرّض للمغامرات، المؤامرات من القوى الغربيّة الكائدة والحاقدة التي تضمر الشر للمسلمين، والتي عزّ عليها أن يكون في النّمور الأسيويّة نمران إسلاميّان: إندونيسيا وماليزيا، فكادت كيدها، ومكرت مكرها، حتى تُوقع هذين البلدين الإسلاميين في مشكلات اقتصاديّة، لتنشغل هذه البلاد بأنفسها وبمتاعبها عن طموحاتها.

هذا ما حدث في ماليزيا، ونرجو إن شاء الله أن تتغلّب ماليزيا على

---

(١) ألقيت بجامع عمر بن الخطاب بالدوحة يوم الجمعة ٣/٢/١٤١٩هـ الموافق ٢٩/٥/١٩٩٨م.

مصاعبها ومتاعبها، كما لاحظت ذلك فى زيارتى القريبة لها، وهى متغلّبة عليها إن شاء الله.

أمّا اندونيسيا فقد كان فيها الاستبداد، وإذا وُجد الاستبداد زرع الفساد.. زرع السرقات والاغتصاب.. الذين يسرقون الشعوب بالملايين بل بالبلايين، وهذا سبّب ما حدث من إثارة واضطرابات أدّت إلى ما أدّت إليه، وانتهت بخروج (الدكتاتور) المستبد، ووجود حكومة جديدة تعلن الإصلاح السياسى والإصلاح الاقتصادى، وتعد بإجراء انتخابات، وعلى الله قصد السبيل، وأسأل الله أن يوفّق الحكومة الجديدة فى خطواتها لإخراج اندونيسيا من أزمتها.

أأتحدّث عن هذ القضيّة؟

أم أتحدث عن قضيّة أخري فرضت نفسها على العالم؟

هذه القضيّة حدثت بالأمس فقط: إنّها القنبلة الإسلامية النّوويّة، إنّها التفجير الباكستانى النووى[1]، خمس تجارب أجرتها دولة باكستان الإسلاميّة ردّاً على التجارب الهنديّة التى كانت تشكّل خطراً أكيداً على باكستان، بل على العالم الإسلامى كلّه، فالهند متحالفة تحالفاً ظاهراً وخفيّاً مع إسرائيل، يجب أن نعلم هذا أيّها الإخوة.

من قديم والهند متحالفة مع إسرائيل، إسرائيل تموّلها اقتصاديّاً، وتعينها تكنولوجيّاً، وساعدتها فى أوّل محطّة للطاقة أنشأتها الهند سنة ١٩٦٩م، ومازالت متعاونة معها، لأنّها ترى أنّ عدوّها الأوّل وخصمها اللدود هو باكستان، وباكستان جمهوريّة إسلاميّة. فإسرائيل تعلم من هو عدوّها، وترى أنّ البلاد الإسلاميّة كلّها أعداء لها.

---

(١) كان ذلك يوم الخميس ٢٨ مايو ١٩٩٨م وكتب الأستاذ الدكتور احمد العسّال من هناك يقول: وكم كان ابتهاج الشعب عظيماً وفرحه غامراً بنجاح التجارب حين خرج الناس الى الشوارع فى كلّ مكان يوزّعون الحلوى، ويذهبون إلى البرلمان للتعبير عن سعادتهم، ثم كيف كانت المساجد غاصّة بالناس يوم الجمعة التى تلت يوم التفجير، وأقيمت صلوات الشكر ومُدّت الأكف وابتهلت القلوب بالدعاء إلى الله عزّ و جلّ أن يحفظ باكستان ويعينها على الدفاع عن الإسلام والذود عن حماه وحرمه، شيئ فاق الوصف وذرفت الدموع تضرّعاً وشكراً للحىّ القيوّم (مجلّة المجتمع الكويتية: العدد ١٣٠٣، ١٤ صفر ١٤١٩هـ - ٩/٦/١٩٩٨م).

ولذلك كانت تعمل بكلّ جهدها للحيلولة بين باكستان والوصول أو الدخول فى النادى النووّى، كما حالت قبل ذلك حينما ضربت المفاعل النووّى العراقى، وكما فعلت قبل ذلك حين قتلت أعداداً من الخبراء المصريّين الذين يدرسون فى الغرب، من النّوابغ والعبقريّات الذين وصلوا إلى درجات عالية جداً فى الفيزياء النووية، فمازالت إسرائيل وراءهم حتى قتلتهم.

صحيح لم يثبت البوليس ولم تثبت التحقيقات أيادى إسرائيل، ولكن كلّ الدلائل وكلّ البراهين تشير بأصابع الاتهام إلى إسرائيل.

إسرائيل تعرف من عدوّها، ولذلك تقف مع الهند ضد باكستان، وكانت فى هذه الأيّام تريد أن تضرب باكستان ضربة حتى لا ترد على التفجيرات النوويّة الهنديّة، ولكن باكستان كانت يقظة، وكانت حذرة، وكان الله معها.

ولم تستطع إسرائيل أن تحقّق أهدافها فى ضرب باكستان ومنعها من تفجيراتها النوويّة الناجحة: ﴿ **وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ** ﴾ [الانفعال: ٣٠]

كان لابدّ لباكستان أن ترد هذا الردّ، وأن تحقق التوازن النوّوى (توازن الرعب) كما يقولون.

ومنذ سنة ١٩٧٦م وباكستان تعمل جهدها حتى تحقق القدرة النوّويّة، والغرب يكيد لها ويتربص بها ويحاول منعها وأقاموا الدنيا وأقعدوها حينما استطاعوا أن يأتوا ببعض مادّة (اليورانيوم) من هنا أو هناك.

ولكن الباكستانيّين - منذ أن فجرّت الهند تفجيراتها الأولى سنة ١٩٧٤م - صمموّا وعزموا وأصرّوا على أن يمتلكوا القدرة النوويّة، وهذا من حقهم.

ولهذا فنحن نهنىّء أنفسنا، ويجب أن يهنّىء المسلمون بعضهم بعضا بما حققته باكستان المسلمة.

لقد أقلقت هذه التجربة الباكستانيّة الغرب كلّ الإقلاق، وأرعبت إسرائيل كلّ الإرعاب، وأزعجت الهند كلّ الإزعاج، وزلزلت القوى المعادية للإسلام والمتربصة بالمسلمين فى أنحاء العالم زلزالا، لِمَ؟ لا أدرى لم؟

امتلك الناس من الديانات المختلفة القوة النوويّة:

اليهوديّة – على رغم قلّة أعداد أهلها فى العالم – ممثّلة فى إسرائيل ملكت القنبلة النوويّة. تمتلك إسرائيل أكثر من مائتى قنبلة نوويّة تهدّد بها العالم العربى والعالم الإسلامى، تمتلك ترسانة نوويّة بتأييد الغرب وتمويل الغرب.

والمسيحيّة بمذاهبها الثلاثة الكبرى: المسيحيّة (البروتستانتيّة) ممثلّة فى الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا تملك القنبلة النوويّة، والمسيحيّة (الكاثوليكيّة) ممثّلة فى فرنسا تملك القنبلة النوويّة، والمسيحيّة (الأرثوذكسيّة) ممثّلة فى روسيا تملك القنبلة النوويّة.

والبوذيّة تملك القنبلة النوويّة ممثّلة فى الصين.

والهندوسيّة تملك القنبلة النوويّة ممثّلة فى الهند.

فلماذا لا يملك الإسلام؟

لماذا يفرض على الإسلام وحده أن يكون أعزل لا يملك القوّة؟

لماذا لا تملك باكستان المسلمة القوّة النّوويّة والقنبلة النّوويّة؟

إنّ من حقّ باكستان ومن حقّ المسلمين أن يدخلوا العصر النّووى.

لا يمكن أن يقوم سلام بين مسلّح وأعزل.. بين الناب الجارح أو المخلب الجارح واللحم الطرى.. بين الذئب والحَمَل. السلام لا يقوم أبداً بين القوى والضعيف، إنّما الذى يتحققّ هو قهر القوى للضعيف، وسيطرة المسلّح على الأعزل.

إنّ رئيس وزراء باكستان قال بالأمس فى ثقة المؤمن وإيمان الواثق: الآن نفتح باب الحوار مع الهند، ولا نمنع أن نقيم معاهدة عدم اعتداء بيننا وبين الهند.

من منطق القوة.. من منطلق امتلاك القوة النوويّة يتحدث رئيس وزراء باكستان، أمّا إذا كان لا يملك شيئاً فماذا يستطيع أن يفعل؟

إنّ العالم قد هاج هياجه من أجل ما صنعت باكستان، ولم نسمع صيحة قويّة ولا تأييداً قويّاً من بلاد العرب والمسلمين.

سهرت ليلة أمس لأسمع الإذاعات وأرى القنوات المختلفة، فلم أجد تصريحاً لرئيس مسلم أو ملك مسلم أو أمير مسلم أو مسئول مسلم يقول: نحن مع باكستان، ولا أدرى لم كلّ هذا الخوف؟ لم كلّ هذه الهزيمة النفسيّة؟

باكستان تُهدَّد: (كلينتون) يهدّد باكستان، وحلف الأطلنطى يهدّد باكستان، والغرب يهدّد باكستان بعقوبات اقتصاديّة شديدة وقاسية، فليكن ما يكون.

لقد نادى رئيس وزراء باكستان أبناء شعبه أن يشدّوا الأحزمة على بطونهم، وأن يستعدّوا لمرحلة قادمة.. مرحلة التقشّف.. مرحلة البعد عن الكماليات، إنّها مرحلة حرب اقتصاديّة. بل ربّما تكون حرباً أكثر من اقتصاديّة، فإسرائيل تهدّد، و الهند تهدد بضرب المنشآت النوويّة، فلابدّ أن تكون باكستان مستعدّة على قدم وساق.

ونحن نقول لباكستان: نحن الشعوب الإسلاميّة – لا نستطيع أن نتحدث باسم الانظمة الحاكمة، إنّنا نتحدث بلسان الشعوب المحكومة. نقول لإخوتنا فى باكستان: نحن معكم، ونحن من ورائكم، نشدّ أزركم، ونقوّى ظهركم، ونضع أيدينا فى أيديكم، قلوبنا معكم، وأيدينا معكم، وألسنتنا معكم، ندعو لكم أن يؤيدّكم الله بنصره، و أن يحميكم من كيد الكائدين، وحقد الحاقدين.

نحن ندعو لإخوتنا فى باكستان، فإنّهم لم يظلموا أحداً، لقد فعلوا ما توجبه السيادة الوطنيّة، من حقهم أن يمتلكوا ما امتلك غيرهم. لم يرتكبوا إثماً، ولم يقترفوا جُرماً، ولم يخالفوا قانونا دولياً، إنّهم ما دخلوا فى معاهدة حظر الانتشار النووى أو حظر التجارب النّوويّة كما فعل للأسف أكثر العرب، أكثر العرب دخلوا فى هذه المعاهدات، ولا أدرى ما السرّ فى دخول هذه المعاهدات وقبولهم أن يوقّعوا عليها وبجوارهم إسرائيل تملك ما تملك من هذه الأسلحة المدمّرة؟!

لقد أصرّ العالم الجديد أو النظام العالمى الجديد أو القطب الأوحد – الذى يريد أن يحكم العالم – على أن يجرّد العراق من كلّ أسلحته النّوويّة والكيماويّة

وغيرها، وأن يجرّده حتى من القدرة العلميّة، يريد أن يدمّره. فلماذا لم يطالبوا إسرائيل بما طالبوا به العراق؟!

هذا هو (المعيار المزدوج)، إنّهم لا يتعاملون مع الناس بمنطلق واحد، ولا بمعيار واحد، إنّهم (المطفّفون) " ﴿ **الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ * وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ** ﴾(المطففين: ٢، ٣]، إنّ الحقّ ليس واحداً عندهم، إنّ الحق يتلوّن بلون من يتعاملون معه.

يا أيها الإخوة:

يجب أن يدخل المسلمون العصر النووى، لابدّ من أن نبين للناس أن المسلمين ليسوا لحماً طرياً يأكله من يريد، وليسوا فريسة سهلة كما يتراءى لأعدائهم إن لحمهم مسموم، لا يستطيع من أراد أن يأكلهم او يفترسهم أن يمضغ ذلك بسهولة ويبتلعه بسهولة.

نحن أمّة الجهاد، نحن الأمّة التى فرض الله عليها أن تدافع عن نفسها، فإمّا أن نعيش عيش الأعزّاء وإمّا أن نموت موت الشهداء ﴿ **قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلاَّ إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ** ﴾ [التوبة: ٥٢].

إن ما نأسف له أن تقف الهند هذه المواقف مع إسرائيل، وتتحالف معها سراً وعلانية، وأن تقف ضد باكستان المسلمة، وأن تقف ضد حقوق المسلمين فى الداخل، كما هدمت مسجد (بابرى)، وأن تقف ضد كشمير، والمسلمون فى باكستان ليسوا إلا جزءا من الأمة الهندية، فإن خالفوهم فى الدين، فهم منهم فى العرق والأصل.

كان ممّا ينتظر - لو لم تحدث هذه التفجيرات الباكستانيّة - أن تغير الهند على كشمير الحرّة لتبتلعها وتضمّها إليها بالقوّة، كما فعلت مع كشمير المحتلّة.

كشمير - أيها الإخوة - وما أدراكم ما كشمير؟ إنّها القضيّة الإسلامية المنسيّة، القضيّة التى أغفلها المسلمون ولم يضعوها فى بؤرة اهتمامهم. قضيّة كشمير قضيّة، إسلاميّة، الظلم فيها واضح، والحق فيها بيّن.

حينما قسمت شبه القارّة الهنديّة بين دولتين: الهند وباكستان، كان قرار التقسيم – كما قررّته الأمم المتحدة – يقضى أن كلّ منطقة فيها أغلبيّة هندوسيّة تكون من حقّ الهند أو (هندوستان)، وكلّ منطقة فيها أغلبيّة إسلامية فهى من دولة باكستان، وكان المفروض وفقاً لهذا أن تكون كشمير ضمن دولة باكستان.

فكشمير أغلبيتّها الساحقة مسلمون – خمس وثمانون فى المائة (٨٥٪) من سكانها مسلمون – وهذا من نحو ستة قرون، حينما أسلم ملكها وأسلم الكثيرون معه، وانتشر الإسلام فيها، وأصبحت ولاية إسلاميّة (ولاية جامو وكشمير).

كان مقتضى قرار التقسيم أن تكون كشمير وجامو مع باكستان، ولكن لأن الذى كان يحكم كشمير فى ذلك الوقت ملك هندوسى جاءت الهند بوثيقة مزوّرة وقالت: إنّ ملك هذه البلاد رغب فى الانضمام إلى الهند!! والمسألة ليست بالرغبة.

لقد كان الذى يحكم (حيدر آباد) أميرا مسلما، والأغلبيّة فى حيدر آباد وثنيّة هندوسيّة، وإن كان فيها أقلّيّة مسلمة كبيرة ولها وزنها، ولكن ضمّت حيدر آباد إلى الهند، دون اعتبار بحاكمها. وكان المنطق العادل والمقابل أن تضمّ كشمير إلى باكستان، ولكن الهند كان لها مطامع فى كشمير.

كشمير – أيها الإخوة – هى جنّة الله فى أرضه، من لم ير كشمير لا يعرف حقيقتها. كشمير جنّة الله فى أرضه، فيها من الحدائق والبساتين والسهول الخصبة والمزارع والأنهار والبحيرات والقمم الشاهقة مالا يوجد فى غيرها. وأهلها عندهم من الذكاء والنّشاط والصناعات ما فاقوا به المسلمين فى الولايات الأخرى. ولذلك طمعت الهند فى كشمير، وضمّتها إليها.

ولم يستسلم الكشميريّون، وقاوموا، وجاهدوا حتى حرّروا ثلث هذه الولاية، أو ما يسمىّ الآن (كشمير الحرّة).

ثم خدعت باكستان الأمم المتحدة ورفعت القضيّة إلى مجلس الأمن

وقالت: إنّنا مستعدون أن نجرى استفتاء فى هذه الولاية ليقرّر أهلها: ماذا يختارون؟ أينضمّون إلى الهند أم ينضمّون إلى الباكستان؟ أم يكونون دولة مستقّلة؟ ووافق مجلس الأمن على ذلك.

وكانت الهند تريد أن تكسب وقتاً حتى تثبّت أقدامها، وتعدّ عدّتها، وتهيىء جنودها، وتسيطر على الولاية سيطرة كاملة فى كلّ شيىء، وهذا ما حدث.

ففى سنة ١٩٥٧م – أى بعد عشر سنوات من قيام الهند وباكستان كدولتين – أعلنت الهند ضمّ كشمير بالقوّة إليها. وبدأت تحاول مسخ شخصيتّها، وتعليم المسلمين الهندوسيّة فى المدارس ليخرج المسلم من المدرسة وهو لا يعرف شيئاً عن دينه، وأخذت تفرض على المسلمين التقاليد الهندوسية والقيم الهندوسية.

ولكن المسلمين رفضوا ذلك من أوّل يوم، وكانوا يقاومون ويجاهدون ما بين الحين والحين، وسقط منهم من سقط من الشهداء.

ولمّا جاءت سنة ١٩٩٠م – منذ نحو ثمانى سنوات أو أكثر قليلاً – بدأ الجهاد الحقيقى، وبدأت حركة الجهاد لتحرير كشمير، وهى حركة شعبيّة إسلاميّة انضّم إليها عشرات الآلاف من أبناء كشمير، وبدأوا يقاومون الجيش الهندى الوحشى المكوّن من نحو ثمانمائة ألف (٨٠٠٠٠٠) جندى هندى!

ولكنّ عشرات الآلاف من أبناء الإسلام الذين صمّموا على الجهاد والبذل دوّخوا هذا الجيش وأرعبوه، حتى أن بعضهم كان يهرب من الجيش فراراً ممّا يفعل فيهم المسلمون، وبعضهم كان يطلب إجازات، وبعضهم يطلب التسريح من الجيش، فكان من الضبّاط من يقتل الجنود الذين يطلبون هذه الإجازات.

لم يستطع الجيش أن ينتقم من المجاهدين، فوجّه نقمته إلى المدنيّين البرآء الذين لا يملكون سلاحاً، ولا يستطيعون أن يدفعوا عن أنفسهم، فقتلوا الآلاف وعشرات الآلاف من الشيوخ والنساء والأطفال، ودمرّوا الآلاف من البيوت، ومن

المساجد، ومن المدارس، ومن المكتبات، ومن كلّ ما يملك المسلمون، وفعلوا الأفاعيل بوحشيّة لا نظير لها، حتى إنهّم اغتصبوا النّساء جهاراً نهاراً.

كانوا يغتصبون الزوجة أمام زوجها، والبنت أمام أبيها والأمّ أمام ابنها، والأخت أمام أخيها، لا يبالون بأحد، وبعد أن يغتصبوهنّ اغتصاباً جماعياً عيانا بيانا يقتلونهنّ، عدّة جنود يتعاورون على المرأة الواحدة حتى تنتهى، فإن لم تنته بالفعل أنهوها بالقتل، وقطعوا أجزاءها وفعلوا فيها ما فعلوا من تمثيل وتشويه.

هذا ما يحدث فى كشمير المسلمة.

وهناك تعتيم إعلامى على ما يجرى هناك، الهند لا تسمح بأن يأتى مندوب صحفى أو مندوب تلفزيونى أو بأىّ وسيلة من وسائل الإعلام ويدخل هذه المناطق.

استطاع بعض الناس أن يتسلّلوا إليها حتى من الهنود أنفسهم، وكتبوا عن هذه المجازر، وكتبوا عن هذه المآسى وهذه المآثم التى تحدث، وكتبوا ذلك إلى لجان حقوق الإنسان فى العالم.

ونحن العرب والمسلمين كأنّ الأمر لا يعنينا، كأن هؤلاء الإخوة – وهم نحو ثلاثة عشر مليوناً يسكنون ولاية جامو وكشمير – ليسوا إخوة لنا، واللّه تعالى يقول: ﴿ **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ** ﴾ [الحجرات : ١٠]، والرسول عليه الصلاة والسلام يقول: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه»[١] أى لا يخذله لا يتركه لا يتخلّى عنه، فكما أنّ الظلم حرام من المسلم للمسلم فتخلّى المسلم عن المسلم حرام.

ويقول عليه الصلاة والسلام: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدّ بعضه بعضا»[٢]،

---

(١) رواه البخارى فى عدّة مواضع من صحيحه عن ابن عمر رضى الله عنهما وهذا لفظه، ورواه أبو داود عن سويد بن الحنظليّة، ورمز السيوطى لحسنه (فيض القدير: ٦ / ٢٧٠ برقم ٩٢٠٩).

(٢) رواه البخارى، ومسلم، والترمذى، والنسّائى، كلّهم عن أبى موسى الأشعرى (فيض القدير للمناوى: ٦ / ٢٥٢ برقم ٩١٤٣).

« مَثَلُ المؤمنين فى توادّهم وتراحمهم وتعاطفهم مَثَلُ الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسَّهرَ والحُمَّى »[1].

إنّ قضيّة كشمير قضيّة إسلاميّة منسيّة من المسلمين ومن العرب، وينبغى أن نكون مع إخواننا، نمدّ إليهم ما استطعنا من العون المادى والأدبى والسياسى والدبلوماسى والفكرى والروحى. على الأقلّ ندعو لهم فى صلواتنا أن ينصرهم اللّه على عدوّهم، وأن يفتح لهم فتحاً مبينا، وأن يهديهم صراطا مستقيما، وأن ينصرهم نصراً عزيزا.

إنّ الهند عدوانيّة بطبيعتها، هى أشبه بإسرائيل فى كلّ شىء. إسرائيل عدوانيّة والهند عدوانيّة، واللّه تعالى قد جمع بين الاثنين حينما قال فى كتابه: ﴿ **لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا** ﴾ [المائدة: ٨٢].

ومن قديم وقف اليهود فى المدينة مع مشركى مكّة الوثنيّين ضد محمد ﷺ كما قال تعالى: ﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا * أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَن يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا** ﴾ [النّساء: ٥٢]. قالوا: إن المشركين والوثنيّين أهدى من محمد والمؤمنين معه! وهم أهل كتاب مثلهم ويدعون إلى التوحيد!

هؤلاء الهنود لهم مطامع فى البلاد التى تحوطهم، هكذا ذكر كثير من قادتهم فى كتبهم بصراحة، وأنّه لا أمان لهم إلاّ إذا استولوا على نيبال وعلى باكستان وبنغلادش وبورما وأفغانستان وماليزيا، حتى يصلوا إلى سنغافورة! هكذا قالوا.

بل قالوا: إنّه لابّد لنا أن نؤمّن البوّابتين الرئيسيتين: سنغافورة وقناة السويس!

---

(١) رواه أحمد ومسلم عن النعمان بن بشير رضى الله عنه، ورواه البخارى فى (الأدب المفرد) لكنّه أبدل (مثل) بـ(ترى). ينظر (فيض القدير للمناوى ٥ / ٥١٤ برقم ٨١٥٥).

تصوّروا هذه مطامعهم، حتى قال من قال منهم: إنّ الكعبة كانت معبداً هندوسياً قديماً والعرب استولواعليه!!! كأنّ لهم مطامع حتى فى الكعبة، ولا نستغرب من هذه الأشياء، فقد كنّا نقول عن مطامع اليهود إنّها (هلوسات وأضغاث أحلام)، ولكن كثيراً ما تصبح أضغاث الأحلام حقائق واقعة حينما يغفل الناس عن مصايرهم وحينما يلهون عن حقائق الوجود من حولهم.

إننا مع هذا للأسف نفتح الصدور، ونفتح الأبواب ، والدور، للهنود المشركين، يملأون ساحاتنا، ويدخلون بيوتنا، ويساكنوننا ويسوقون لنا، وندفع إليهم أموالاً ورواتب تتحوّل إلى خناجر وأسلحة ضد إخواننا المسلمين.

أين الوعى العربى الإسلامى؟ أين صحوة هذه الأمّة؟ يجب أن نعرف: من لنا ومن علينا؟ من هو صديقنا ومن هو عدوّنا؟ وإذا عرفنا ذلك فقد سرنا خطوة أولى فى الطريق الصحيح. نسأل اللّه تبارك وتعالى أن ينير بصائرنا، وأن يهدينا سبلنا، وأن يهيّىء لنا من أمرنا رشدا، وأن ينصرنا على عدوّه وعدونا، إنّه سميع قريب.

أقول قولى هذا، وأستغفر اللّه لى ولكم، فاستغفروه إنّه هو الغفور الرحيم وادعوه يستجب لكم.

* * *

(٧) الرحلة إلى اليابان [١]

الخطبة الأولى:

أمّا بعد فيا أيها الإخوة المسلمون:

أريد أن أحّدثكم عن رحلتى الأخيرة إلى اليابان. فقد زرت اليابان قبل ذلك مرّتين: مرّة فى أواسط السبعينّيات، ومرّة فى أواخر السبعينيّات من هذا القرن العشرين.

وهذه هى المرّة الثالثة.

فى المّرتين السابقتين كان الوجود الإسلامى فى اليابان ضعيفاً، فلم أحسّ به. ولكن فى هذه المّرة أحسست بهذا الوجود.

والدعوة جاءتنى من المراكز الإسلاميّة هناك، فقد أصبحت هناك مراكز، وأصبحت هناك مساجد، وأصبحت هناك أماكن تجمّع فيها المسلمون، وأصبح هناك مسلمون يدرسون من البلاد الإسلاميّة.

انفتحت اليابان على العالم، وكانت مغلقة على نفسها من قبل، وأعطت منحاً دراسيّة لطلاّب من العرب، وطلاّب من باكستان، ومن بنغلادش، ومن اندونيسيا وهم أكثر عدداً.

هؤلاء الطلاّب يحملون حماس الشباب وإيمان الشباب، وحيث وجد الشباب المؤمن وجد العمل ووجد النّشاط ووجدت الهمّة، لهذا كان الوجود الإسلامى فى هذه المرّة ظاهراً عن المّرتين السابقتين.

والمسلمون من قديم يتحدثون عن اليابان، وعن نشر الإسلام فى اليابان، وعن استعداد اليابانيين للدخول فى الإسلام منذ نحو قرن. وهذا الحديث ينتشر فى المجلاّت الإسلاميّة والصحف الإسلاميّة.

ومن أكثر من تسعين عاماً نُشر فى مصر وفى الهند وفى عدد من البلدان:

---

(١) ألقيت فى جامع عمر بن الخطاب بالدوحة فى ٢٢/١/١٤١٨هـ الموافق ٣٠/٥/١٩٩٧م.

إنّ امبراطور اليابان سيقيم مؤتمراً دينياً ليختار فيه أحسن الأديان لليابانيّين!! ولم يكن هذا نبأ صحيحاً.

فالامبراطور لا يمكن أن يفعل هذا، لأنّه مصدر دينيّ عند اليابانيّين. اليابانيّون يعتبرونه إلهاً أو ابن الآلهة، لا يكادون ينظرون إليه، إذا مشى موكبه في الطريق، فالنّاس ينحنون راكعين، ويخلعون أغطية رؤوسهم، ولا يجوز أن ينظروا إليه، ومن نظر إلى الامبراطور عوقب قانوناً!!! حتى العساكر والجنود الذين يصطفّون في الطريق تحيّة للامبراطور يديرون إليه ظهورهم ولا ينظرون إليه.

فمثل هذا لا يمكن أن يتخلّى عن دينه، وأن يبحث عن دين آخر، ولكن هكذا انتشر الخبر في البلاد الإسلاميّة. وذهب من ذهب إلى اليابان في ذلك الحين، ولعلّهم كانوا يريدون إقامة مؤتمر للأديان للتعرّف على الأديان، وليس للتخلّي عن دينهم.

وفي ذلك الوقت سافر أحد علماء الأزهر من المصريّين . . من الصعيد . . من (جرجا) اسمه: (علي الجرجاوي)، كان يصدر مجلّة في القاهرة اسمها: مجلّة (الإرشاد)، ودعا علماء مصر ورجال الأزهر أن يذهبوا إلى هذا المؤتمر في اليابان، ولمّا لم يستجب له أحد باع عدّة أفدنة ممّا يملك في الصعيد، وقطع تذكرة في الباخرة، وذهب إلى اليابان مروراً بـ (ينبع) و (جدّة) و (عدن) و (بومباي) و (سنغافورة) و (هونج كونج)، إلى أن وصل إلى اليابان وفي الطريق تعرّف على أحد الصينيين قال عنه انّ اسمه: سليمان الصيني، وهذا سليمان الصيني عرّفه على رجل يعيش في اليابان من روسيا اسمه الحاج (مخلص محمود).

وحينما وصلوا إلى اليابان تعرّفوا على رجل هندي يُدعى (حسين عبد المنعم)، ثمّ تعرّفوا على رجل ياباني، وصاروا خمسة، وكوّنوا جمعيّة دينيّة لنشر الإسلام.

وقال الشيخ الجرجاوي في كتابه الذي سمّاه (الرحلة اليابانية)[1]: إنّ

(١) طبعته مطبعة جريدة الشورى بمصر سنة ١٣٢٥، وقد عثر عليه الدكتور عبد الودود شلبي عام ١٣٨٢هـ بالمكتبة الأزهريّة القديمة، وكتب حوله مقالة بعنوان (الرحلة اليابانية) نشرتها مجلّة (الأمة) القطريّة في عددها الصادر في شوّال ١٤٠٦ هـ (صفحة ٥٢ - ٥٥)، ووصف الكتاب بأنّه أشبه بالمذكّرات اليومية للزعماء والمشاهير.

الناس أقبلوا عليهم، وكانوا يشرحون الإسلام باللغة العربية، وهذا اليابانى الذى أعطاهم منزله تبّرعاً منه، ودخل فى الإسلام، كان يجيد الإنجليزيّة كما يجيد اليابانية لغته الأصلية فكان يحدث أناسًا بالإنجليزية وأناساً باليابانيّة.

وقال الشيخ الجرجاوى: إنّه دخل فى الإسلام حوالى اثنى عشر ألف شخص!! ولكن فى الواقع هذة الآلاف المؤلّفة لم نجد لها أثراً حينما زرت اليابان فى أواسط السبعينات. لأنّه ليس المهّم أن يعلن الإنسان دخوله فى الإسلام ثمّ تدعه فى محيطه فيذوب فى هذا المحيط كما يذوب الملح فى الماء، إنّما المهم أن تتابعه وأن تعلّمه الإسلام، وأن تحاول أن تعيّشه فى جوّ إسلامى ومحيط إسلامى.

لهذا ظلّ اليابانيّون بعيدين عن الإسلام. دخل منهم من دخل فى الإسلام، وذهب منهم من ذهب للدراسة فى الأزهر، كان منهم علماء درسوا فى الأزهر.

ومنذ نحو خمسة عشر عاماً أو ثمانية عشر عاما جاءنا طالب يابانى هنا فى الدوحة، ليدرس فى كليّة الشريعة فى جامعة قطر، وظلّ عدّة سنوات، ولكن اللغة كانت مشكلته، كيف يستطيع أن يفهم الفقه وأصول الفقه والعقيدة وهذه العلوم باللغة العربيّة؟! وعجز هذا الطالب وعاد إلى اليابان، بعد أن حصل بعض العلم، وإن لم يكمل المسيرة.

وفى رحلتى هذه حضر هذا الطالب إحدى محاضراتى وسلّم علىّ، وقال لى: ألا تذكرنى؟ قلت: واللّه أذكر شكلك، قال: أنا (مُعَمَّر) الذى كنت تلميذك فى كلية الشريعة فى قطر، وأنا الآن محاضر فى كليّة العلاقات الدوليّة.

المهم أنّه أصبح يوجد الآن مسلمون، البعض يقدّرونهم بعشرات الآلاف، ولكن اعتقد أنّ هذا التقدير مبالغ فيه، هم بضعة آلاف، ربما كانوا خمسة آلاف أو عشرة آلاف أو نحو ذلك، لا يزيدون على ذلك فيما أظنّ.

ولكن الإسلام بدأ ينتشر فينما بينهم، ووجود هؤلاء الشباب - الذين يعيشون بالإسلام ويعيشون للإسلام - مهّم فى نشر الإسلام بين اليابانيين، وإن كنت أخذت على كثير منهم أنهّم يائسون من انتشار الإسلام هناك.

قال بعضهم: إنّ اليابانيين قوم مشغولون يعملون فى اليوم اثنتى عشرة ساعة، وربما خمس عشرة ساعة، وليس عندهم وقت للنظر فى الأديان، وهم قوم

عمليّون يهتمون بالجانب العملى، أمّا الجانب الفكرى والجانب العقيدى فهم يكتفون بما ورثوه.

ولكنّى قلت لهم: أنا لا أوافقكم على هذا، اليابانيّون هم صنف من البشر الذين بعث اللّه إليهم محمّداً ﷺ.

دعوة محمد ﷺ دعوة عالمية: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾ [الفرقان: ١]، ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ [الأعراف: ١٥٨]، وهؤلاء من الناس ومن العالمين.

وما الذى يميّز اليابانيّين عن غيرهم؟ ألم ينتشر الإسلام فى الصين بالقرب منهم منذ القرن الأوّل الهجرى؟! وهؤلاء الماليزيون، وهؤلاء الأندونيسيوّن، وهؤلاء الفليبنيّون، قريبون منهم وقد انتشر الإسلام بينهم!

ما الذى يمنع من انتشار الإسلام بين اليابانيين؟

بالعكس، نحن نعتبر اليابانيّين أقرب إلينا، فليس بيننا وبينهم ثارات قديمة كما فى الحروب الصليبيّة التى بيننا وبين الغرب. وليس بيننا وبينهم صراعات حديثة كما حدث بيننا وبين الدول التى استعمرت البلاد الإسلاميّة واحتلّت أراضيها.

هم شرقيّون مثلنا، نعتزّ بنهضتهم، وبيننا وبينهم مودّة، فلماذا نقيم الحواجز بيننا وبين هؤلاء القوم؟!

وهم يعيشون فى ظلّ الحضارة المادية التى غزتنا، ويحتاجون إلى دين صحيح يعرّفهم بربهم. . يعرّفهم باليوم الآخر وما فيه، بدل عقيدة تناسخ الأرواح التى يؤمنون بها.

اليابانيّون ينتشر عندهم دينان:

دينهم الأصلى (الشنتويّة)، وهو دين الإمبراطور.

والدين الآخر (البوذيّة)، وحوالى ثمانين فى المائة (٨٠٪) من أهل اليابان يدينون بالبوذيّة.

البوذيّة مذهب فيه خرافات كثيرة مثل (تناسخ الأرواح) : إنّ الانسان بعد أن يموت تحل روحه إمّا فى مخلوق أسوأ منه، قد تحلّ فى كلب أو خنزير أو حمار أو نحو ذلك، وقد تحلّ فى إنسان . . الخ.

وعندهم أنّ الإنسان يستطيع أن يشترى اسماً له فيرقيه من مرتبة إلى مرتبة، الكهنة يبيعون هذه الأسماء بعد الموت، والناس يشترونها بحوالى عشرين ألف دولار أو تزيد!!!

مجرّد الاسم ينقلهم من مرتبة إلى مرتبة، ويجعلهم من أهل الخير ومن أهل الجزاء الحسن!!

هذه الخرافات تنتشر بينهم.

ولذلك هم فى حاجة إلى عقيدة سليمة. . إلى دين صحيح، ولن يجدوا هذا الدين إلاّ فى الإسلام.

كلّ ما فى الأمر أننّا لم نبلّغ رسالة الإسلام كما ينبغى. نحن المسلمين عامّة والعرب خاصّة مسؤولون عن الدعوة إلى الإسلام فى العالم، سيسألنا اللّه عن هذه الأمم التى ضلّت عن الصراط المستقيم، ولم تهتد إلى اللّه، ولم تعرف عقيدة التوحيد ولا رسالة محمّد عليه الصلاة والسلام، سيسألنا اللّه عن ضلال هذه الأمم التى لم تسمع عن الإسلام. بعضها لم يسمع عن الإسلام قط، وبعضها سمع عنه ما يمنع من النظر إليه، سمع صورة لا تحمل على البحث عن الإسلام. . صورة مشوّهة. . صورة كريهة عن هذا الدين، الذين قام به رجل فى جزيرة العرب: السيف فى يد والنسّاء فى الناحية الأخرى. . . الخ هذه التشويهات التى صُوّرت بها رسالة الإسلام ورسول الإسلام ودعوة الإسلام.

لابّد أن نبذل جهداً فى تعريف النّاس بهذا الدين.

النصارى وصلوا إلى اليابان منذ سنين قليلة. . عشرات السنين. حينما

وصلوا إلى اليابان قالوا: ما هذه اللغة؟! اللغة اليابانيّة هذه لغة صنعها الشيطان لا نستطيع أن نترجم إليها الأناجيل!

اللغة صعبة جداً؛ لأنها حروف ورسوم وصور كلها، ولكنهم فرّغوا منهم شباباً درسوا هذه اللغة حتى أتقنوها، ثمّ بدأوا يخاطبون الناس بلسانهم، وينقلون الإنجيل إليه، وأخذوا يبشرون بالنصرانيّة وينصّرون الناس ويدخلونهم فى النصرانيّة.

وهم لا يريدون من النّاس إلاّ أن يعلنوا أنهّم مسيحيّون، يقولون : فقط قل (أنا مسيحى) ولا نريد منك شيئاً، نعمّدك ولا نطلب منك أمرا، وهذا أمر سهل يسير.

المسلمون على عكس ذلك، يريدون من النّاس حينما يدخلون فى الإسلام: كيت وكيت وكيت وكيت!! لا يأخذون النّاس بالتيسير أوّل ما يقولون لهم: عليكم أن تصلّوا. وكم تصلّون؟ الصبح: أربع ركعات، والظهر عشر ركعات، والعصر ثمانى ركعات. . . الخ. يقول النّاس: هذا كمّ هائل لا نستطيعه. ويقولون لهم: لا تفعلوا كذا، ولا تفعلوا كذا، ولا تفعلوا كذا!!

وأوّل ما يطلبون منهم أن يمتنعوا منه: شرب الخمر واليابانيون مولعون بشرب الخمر، كأنها الماء عندنا: الخمر شيىء أساسى لديهم، ولو كانت (بيرا) على الأقل.

قال الإخوة هناك: هذه عقبة أمامنا. قلت: لو أنّ الإسلام فعل مع العرب ما تفعلونه مع اليابانيّين، ما دخل العرب فى الإسلام. لأنّ الإسلام جاء والعرب مولعون بشرب الخمر، وكانوا يسمّونها بأكثر من مائة اسم، وكم كان لهم شعر فى مدحها؟ وكم وصفوا مجالسها وأقداحها وندماءها؟ وكم قال قائلهم:

إذا متّ فادفنّى إلى جنب كرمة تروّى عظامى بعد موتى عروقها!!

هذه هى الخمر، فلو جاء الإسلام من أوّل الأمر وقال: امتنعوا عن الخمر، لقالوا: والله لن ندخل فى الإسلام. إنّما أبقاهم على هذا الأمر وأخذهم بالتدريج، حتى نزلت الآية الحاسمة فى سورة المائدة فى أواخر العهد النبوى: ﴿ **يا أَيُّهَا الَّذين**

آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾[المائدة: ٩٠، ٩١]؟ فقالوا: قد أنتهينا يارب، انتهينا يارب.

كان الرجل منهم يمسك بالكأس شرب بعضها وبقى منها البعض، فلم يكمّل الكأس وأفرغها فى الحال وقال: انتهينا يارب. لم يقل ما قال امرؤ القيس قديماً: اليوم خمر وغداً أمر، لا، بل ذهب إلى مافى بيته وأخذ قرب الخمر ومزّقها وأفرغها وأسالها فى الطرقات، إعلاناً بالبراءة من هذا الأمر.

لابدّ أن نتدرّج بالناس.

إن النبى ﷺ حينما جاءه رجل يسأله عن الإسلام قال: «خمس صلوات فى اليوم والليلة، فقال: هل علىّ غيرهنّ؟ قال: لا إلاّ أن تطّوّع، وصيام شهر رمضان، فقال: هل علىّ غيره؟ فقال: لا إلاّ أن تطّوّع، وذكر له رسول الله ﷺ الزكاة فقال: هل علىّ غيرها؟ قال: لا إلاّ أن تطّوّع، فأدبر الرجل وهو يقول: والله لا أزيد على هذا ولا أنقص منه، فقال رسول الله ﷺ: «أفلح إن صدق»[1] أو «دخل الجنّة وأبيه إن صدق»[2].

وفى حديث مماثل قال: «من سرّه أن ينظر إلى جل من أهل الجنّة فلينظر إلى هذا»[3].

---

(١) رواه البخارى، ورواه مسلم واللفظ له، عن طلحة بن عبيد الله رضى الله عنه. وانظر (شرح السنة للبغوى بتحقيق الأرناؤوط والشاويش: ١/ ١٨ - ١٩ برقم ٧).

(٢) هذه الزيادة أخرجها مسلم فى صحيحه (كتاب الايمان: باب بيان الصلوات التى هى أحد أركان الإسلام). وقوله فى الحديث: «وأبيه» كلمة جرت عادة العرب أن تدخلها فى كلامها تريد بها التأكيد غير قاصدة بها حقيقة الحلف، والنّهى عن الحلف بالآباء ورد فيمن قصد حقيقة الحلف لما فيه من إعظام المحلوف به ومضاهاته به الله سبحانه وتعالى، ويُحتمل أن يكون هذا قبل النهى عن الحلف بغير الله تعالى.

انظر (صحيح مسلم بشرح النووى: ١/ ١٦٨) ط. دار الفكر.

(٣) رواه البخارى ومسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب: ١/ ٢٥٤ برقم ٣٩٢).

حينما أرسل النبى عليه الصلاة والسلام معاذ بن جبل إلى اليمن قال له: «إنك تأتى قوماً من أهل الكتاب فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلاّ الله وأنى رسول الله، فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات فى كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فتردّ فى فقرائهم..»[1].

هكذا منهج التيسير والتدريج.

هذا يحتاج إلى داعية موفّق يركّز على الأساسيّات، ولا يدخل فى التفصيلات والفروع والهوامش، التى يثقل بها كاهل الإنسان الداخل فى الإسلام، هذا نتركه يتعلّم ثم يترقى هو شيئاً فشيئاً.

فى أوّل الأمر نركز على أداء الفرائض واجتناب الكبائر، حتى لو أن هناك كبيرة لا يستطيع أن يتخلّى عنها مثل (شرب الخمر) نقول له: إن شاء الله ستوفّق فيما بعد إلى اجتنابها.

ما المانع من أن يدخل فى الإسلام وهو شارب الخمر.

لابدّ أن يكون عند الداعية أفق واسق يركّز على الأساسيّات ويدع الهوامش، يركّز على الأصول ويدع الفروع، لا يدخل فى الأمور المختلف فيها.

بعض النّاس الذين يدعون إلى الإسلام يدخلون الداخل فى الإسلام فى متاهات، يحدّثونه فى أمور لا حاجة له فيها، يحذّره من الطواف بالأضرحة ومن تقديس الأولياء! وما حاجته إلى الأضرحة وإلى الأولياء وليس عنده لا أضرحة ولا أولياء؟! هؤلاء قوم لا يدفنون موتاهم، يحرقون الموتى، فما عاد عنده قبور ولا أضرحة ولا شيئ من هذا.

وهناك من يدخل الداخل فى الإسلام فيما تختلف فيه المذاهب بعضها

---

(٤) رواه مسلم فى صحيحه (كتاب الإيمان: باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام).

وبعض! لانريد أن ندخله ولا أن نربطه حتى بمذهب، بل نربطه بالإسلام العام. ما حاجته أن تقول له: أنت حنفي أو أنت مالكي أو أنت شافعي؟! ليدخل في الإسلام العام، ويسأل فيما يعنّ له من تيسر له من أهل العلم.

قال لي الإخوة: نحن محتاجون إلى أن نختلط بهؤلاء حتى نعلّمهم الإسلام، والاختلاط يترتب عليه أشياء منها:

١ - أنّنا لابدّ أن نأكل طعامهم:

قلت لهم: كلوا طعامهم. الشيخ رشيد رضا رحمه الله قال: إنّ هلاء البوذيّين وغيرهم يعاملون معاملة المجوس، وقد سئل النبي ﷺ عن المجوس فقال: «سنّوا بهم سنّة أهل الكتاب»[1]، وقد كان المجوس يقولون بإلهين اثنين: إله للخير والنّور وإله للشرّ والظلمة، وكانوا يعبدون النار، ومع هذا رأينا النبي ﷺ قال: «سنّوا بهم سنّة أهل الكتاب».

٢ - قالوا: يعرضون لنا الخمر في حفلاتهم. قلت: هل يلزمونكم بشرب الخمر، قالوا: لا، بل هم مؤدّبون جداً معنا، لا يطلبون منّا أن نشربه، ولكن نحن نجلس في مجتمع يُشرب فيه الخمر. قلت: يا أخي هذه سهلة، لأنّ المحرّمات أنواع ومستويات، هناك محرّمات لا تباح بحال لا لضرورة ولا لغير ضرورة مثل تحريم نكاح الأمّ والبنت والعمّة والخالة والأخت ﴿ **حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالاتُكُمْ وَبَنَاتُ الأَخِ وَبَنَاتُ الأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللاَّتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللاَّتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَائِكُمُ اللاَّتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلابِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا بَيْنَ الأُخْتَيْنِ إِلاَّ مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ**

---

(١) رواه البيهقي من طريق جعفر بن محمد عن أبيه أنّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه ذكر المجوس فقال: ما أدري كيف أصنع في أمرهم؟ فقال له عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه: أشهد لسمعت رسول الله ﷺ يقول: «سنّوا بهم سنّة أهل الكتاب» ينظر (السنن الكبرى للبيهقي: ٩/١٨٩ - ١٩٠) ط. دار المعرفة بيروت.

غَفُوراً رَّحِيماً ﴾[النساء: ٢٣] هذه لاتباح بحال من الأحوال. و هناك محرّمات تباح للضرورة مثل أكل الميتة والدم والخنزير، الله تعالى يقول: ﴿ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلا عَادٍ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[البقرة: ١٧٣].

وهناك محرّمات تباح للحاجة، أى أقل من الضرورة. العلماء قالوا: ماحرم لذاته يباح للضرورة، وما حرم لسدّ الذريعة يباح للحاجة.

فجلوس الإنسان فى المجالس التى يُشرب فيها الخمر محرّم لسدّ الذريعة ليس لذاته. شرب الخمر محرّم لذاته، إنّما أن تجلس فى مجلس يُدار فيه الخمر هذا حرّم لسدّ الذريعة، فهذا يباح للحاجة. إذا كنت فى حاجة إلى أن تختلط بهؤلاء وتقترب منهم لترغبهم فى الإسلام، فلا بأس فى هذا ولا حرج إن شاء الله.

نحن فى حاجة إلى الداعية الذى ينظر إلى الإسلام بعين وإلى الواقع بعين أخرى، ويزاوج بين الواجب والواقع، ويقترب من الناس ويعرف مشاكلهم ويخاطبهم بلسانهم، وهذه مشكلة.

النصارى كما قلت لكم قالوا: إن المشكلة هى اللغة، ثمّ عرّفوا لغة القوم، وأدخلوا من أدخلوا فى النصرانيّة، وصار لهم عشرات الجامعات البروتستانتيّة وبضع عشرة جامعة كاثوليكيّة.

نحن فى حاجة إلى أن ندرس اللغة اليابانية لغة القوم، فإن الله تعالى يقول: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾ [إبراهيم: ٤].

للأسف لا يوجد عندنا مؤسسات للدعوة العالميّة تدرّس هذه الأمور، وتبعث إلى كلّ قوم من يخاطبهم بلغتهم.. بلسانهم.

فى سنة (١٩٧٨م) اجتمع المبشّرون البروتستانت فى (كلورادو) فى أمريكا، وكان هدفهم العمل على تنصير مسلمى العالم، ورصدوا لذلك ألف مليون دولار، وكوّنوا لذلك معهداً اسمه (معهد زويمر) باسم هذا المنصّر العتلّ القديم، الذى كان مقرّه فى البحرين فى أوائل هذا القرن، أرادوا أن يحيوا ذكراه بإنشاء هذا المعهد: معهد مهمّته أن يخرّج منصّرين للمسلمين.

ما معنى منصرين للمسلمين؟

يعنى أناساً متخصّصين فى تنصير المسلمين: منصر يذهب إلى جنوب أفريقيا، وثان يذهب إلى شمال أفريقيا، وثالث إلى شرق أفريقيا، ورابع إلى غرب أفريقيا، وغيره يذهب إلى وسط أفريقيا، كلّ واحد من هؤلاء عليه أن يدرس القوم الذين سيبشّر فيهم، يدرس لغتهم.. يدرس اللهجات المحلية.. يدرس العقيدة السائدة: أىّ عقيدة هى؟ هل هى العقيدة السلفيّة أو العقيدة الأشعريّة؟ أىّ طريقة من الطرق منتشرة بينهم؟ القادريّة أم النقشبنديّة أم التيجانيّة؟ أى مذهب يسود بينهم: المالكي أم الشافعى أو الحنفى؟ ماهى الشخصيات المؤثّرة فيهم؟.. الخ، ويعيش بينهم ويعرف كلّ شيىء عنهم.

نحن فى حاجة إلى أن نفعل هذا، وأنا أقول ليس معنى قول الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾[إبراهيم: ٤] أنك تكلّم اليابانيين باليابانيّة والصينيين بالصينيّة فقط، لا، إنّما تكلّم كلّ قوم باللسان الذى يفهمونه والذى يؤثّر فيهم. تكلّم الخواص بلسان الخواص، والعوام بلسان العوام، تكلّم أهل الشرق بلسانهم وأهل الغرب بلسانهم، المتحضرون لهم لسان والبدو لهم لسان، أهل الريف لهم لسان وأهل المدن لهم لسان، لابدّ أن تخاطب كلّ قوم بلسانهم.

نحن لم نعد العدّة لهذا الأمر للأسف، لم نهيىءّ الدعاة الذين ينتشرون فى العالم، ديننا دين عالمى، ومع هذا لم ننشره فى العالم.

المسيحيّة ليست ديناً عالميّاً، المسيح قال: أنا لم أبعث إلاّ إلى خراف بنى إسرائيل الضالّة، ولم يقل أنّه بعث للعالمين. النبى الوحيد الذى أعلن أن دعوته للعالمين هو محمد عليه الصلاة والسلام، ومع هذا لم نبلّغ العالم دعوته.

العالم مفتوح لنا الآن، نستطيع أن ننشر دعوننا بشتّى اللغات ما استطعنا، نستطيع أن نوجّه دعوتنا بالإذاعات الموجّهة إلى العالم، نستطيع أن نبعث بها إلى العالم كلّه عن طريق المحطّات الفضائية، نستطيع ولكن لم نفعل هذا.

أين أغنياء المسلمين؟ أين الملايين التى تذهب هنا وهناك؟ لماذا لا ترصد كما رصد أولئك (ألف مليون دولار) جمعوها من أغنياء النصارى، ألف واحد من كبار المليونيرات.. من كل واحد مليون.. جمعوا الألف مليون بأسهل ما يكون، وما أكثر من عندنا ممّن يستطيعون أن يعطوا مليوناً ولكن أين هؤلاء؟[1].

نحن فى حاجة إلى تكوين دعاة ينتشرون فى أرجاء العالم، وينشرون الإسلام فيه.

تصوّروا أنّ معظم لغات العالم لا يوجد فيها ترجمة صحيحة للقرآن

---

(١) يقول الشيخ على الجرجاوى - رحمه الله - فى كتابه (الرحلة اليابانية) موجّهاً كلامه إلى الأغنياء والموسرين من المسلمين: «أمّا أنتم أيها الأغنياء والموسرون، فإنكم خالفتم سيرة كل ذوى الغنى واليسار من الأمم الأخرى، تلك السيرة التى أنتم بها أولى وأحرى، إذ أنتم تجهدون أنفسكم ليل نهار فى كسب الدرهم والدينار، وتبذلون ما تجمعونه فى سبيل الملاهى والعقار ومظاهر الأبهة والفخار، أو في لعب القمار، أو تكتنزونه خوفاً من الدهر أن يوقعكم فى شرك الفقر، أو تدلّون به إلى الحكام طمعاً فى رتبة أو نيشان، أو يساعدكم على ظلم فلان وفلان.

أمّا هؤلاء فإنهم يبذلون أموالهم فى نشر العلوم والصنائع، وغير ذلك من وجوه المنافع، وبذلك سادت الأمم الراقية وارتفعت بمقدار انحطاطكم فى الهمم.

أليس من الخسران المبين أنكم تمنعون زكاة المال، ولا تؤدون شكر المنعم به عليكم وتذهبون فى كل صيف من كل عام إلى أوروبا وتبذرونه ذات اليمين وذات الشمال فى سبيل شهواتكم النفسية، وبعد صرف الدرهم والدينار تفدون محتقبين الأوزار والذل والعار على حين أنكم ترون الأغنياء من الأمم الأخرى تجود بالمال للبعثات العلمية والدينية وترقية العلوم العصرية؟

ماذا عليكم لو فتحتم اكتتاباً لتأليف بعثة دينية تسافر إلى بلاد اليابان وتنشر التعاليم الدينية، والعقائد الإسلامية، على أن المال لديكم لا يوزن بالميزان بل يكال بالقُفْزان؟

هل يوجد منكم ألف، ولو على وجه التقريب، يجود كل واحد بنصف ما يصرفه فى شهواته البهيمية ليكون بذلك قد خدم دينه ووطنه ونفسه، أما دينه فلأنه سعى فى الدعوة إليه، وأما وطنه فلأنه بفعله هذا يجعل الأمم الأخرى ترمق المصرى بعين الاعتبار، وأما نفسه فلأنه أكسبها فضيلة من أعظم الفضائل؟!

هذه كلمتى قلتها، وإنى على يقين بأنها لا تعدم منصفاً كشف الله عن بصيرته حجاب الضلال، ولا تلبّس عليه الحق بزور المقال، كما أنها لا تعدم مَنْ مِنْ خلقه المجادلة فى الله بغير علم ولا هدى، والله يرشدنا إلى الطريق المستقيم (تنظر مقالة الدكتور عبد الودود شلبى عن الرحلة اليابانية فى مجلة الأمة القطرية شوال ١٤٠٦هـ ص٥٥).

الكريم، بل لا توجد ترجمة مرضيّ عنها من المسلمين فى أىّ لغة، حتى اللغة الإنجليزيّة التى هى أشهر اللغات والتى يتكلّم بها مئات الملايين من المسلمين، لا توجد فيها ترجمة صحيحة لمعانى القرآن أو لتفسير مختصر للقرآن الكريم.

المسلمون مقصرون

نحن فى حاجة إلى أن نعرض ديننا على العالم، ونقيم الحجة على الناس ونُعْذِر إلى الله تعالى.

صحيح أن العالم المتقدّم الآن وصل إلى القمر، وغزا الفضاء، وصنع الكمبيوتر، وصنع هذه الثورات المعروفة: الثورة البيولوجيّة، والثورة الالكترونية، والثورة المعلوماتيّة... الخ هذه الثورات، ولكن الإنسان الذى وصل إلى القمر لم يستطع أن يُسعد نفسه على ظهر الأرض، هو فى حاجة إلى دين يحقق له معنى وجوده ويعرفه سرّ حياته، ولماذا يعيش، ولماذا يموت: وماذا بعد الموت؟ لا يوجد هذا إلاّ فى رسالة الإسلام.

نحن مسئولون عن إيصال هذه الرسالة إلى البشر جميعا، ونحن قادرون لو أنّا جعلنا هذا فى بؤرة الشعور، وجعلناه نصب أعيننا، ولم نجعله على هامش حياتنا.

نحن أمّة دعوة، فالله تعالى يقول لرسوله: ﴿**قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي**﴾[يوسف: ١٠٨] كلّ من اتبع محمّداً عليه الصلاة والسلا فهو داع إلى الله، وداع على بصيرة.

نحن أمّة مبعوثة كما قال عليه الصلاة والسلام: «إنّما بُعثتم ميسّرين ولم تُبعثوا معسّرين»(١).

نحن مبعوثون بما بعث به نبيّنا عليه الصلاة والسلام. قال ربعىّ بن عامر لرستم قائد جيوش الفرس – حينما سأله: من أنتم؟ وما الذى أخرجكم من

---

(١) رواه الترمذى عن عائشة رضى الله عنها، ورواه عنها أيضا البيهقى فى السنن لكن قال الذهبى فى المهذّب هو منقطع (فيض القدير للمناوى: ٢/ ٥٧٣ برقم ٢٥٨٦).

بلادكم؟ – نحن قوم ابتعثنا الله لنخرج الناس من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام!

انظروا إلى هذا الصحابى الذى لم يتخرج فى جامعة، وإنّما تربى فى مدرسة محمّد ﷺ، لخّص أهداف الإسلام الكبرى، وفلسفة الإسلام الكلّيّة فى هذه الكلمات، لم يدخل فى التفاصيل التى يدخل فيها بعض الدعاة، قال له: الإسلام جاء يحرّر الناس من عبادة الطواغيت حتى يعبدوا الله وحده، ويعرّفهم بالعدل الذى هو هدف الرسالات السماويّة كلّها، ويخرجهم من جور الأديان وتطرّفات الأديان إلى عدل الإسلام ووسطيّة الإسلام.

هذا ما ينبغى أن نعرفه.

نحن فى حاجة إلى أن نجعل هذا الأمر من أوّليّات حياتنا.

اليابانيوّن يمكن أن يدخلوا فى الإسلام لو وجدوا الدعاة الصادقين.. الدعاة الذين يعيشون بالإسلام وللإسلام. وأنا قلت للإخوة: إنّكم تؤثّرون فى اليابانيّين بسلوككم أكثر ممّا تؤثّرون بكلامكم، فلسان الحال أبلغ من لسان المقال.

بماذا انتشر الإسلام فى البلاد التى دخلها؟ هل انتشر بالسيف كما يقول المبشّرون والمستشرقون وأمثالهم؟ لا والله، إن السيف قد يفتح أرضاً، ولكنّه لا يفتح قلباً.

وهناك بلاد لم يدخلها جيش إسلامى ولم تعرف السيف قط: اندونيسيا.. ماليزيا.. الفلبين.. بنغلادش، حتى الهند التى دخلها المسلمون، دخلوا جزءاً معيّناً منها بجيوشهم ثم انتشر الإسلام بطريق الدعوة ومعايشة المسلمين الصالحين. افريقيا انتشر الإسلام فيها بطرق الصوفيّة وبالتجار، وهكذا.

ذهب الناس من اليمن ومن حضرموت وغيرها إلى ماليزيا واندونيسيا ليشتروا البهارات وهذه الأشياء التى عرفت بها هذه البلاد، ويوردوها بلادهم، ورآهم الناس فوجدوا فيهم الصدق فى القول والأمانة فى العمل، والتواضع للنّاس، وحبّ الخير والشهامة والنّجدة وكلّ صفات الخير.

وجدوهم يعبدون الله، إذا جاء وقت الأذان أذّن المؤذن فقاموا وتطهّروا وصلّوا صفوفاً، اعجبوا بهم وسألوهم: من أنتم؟ قالوا: نحن مسلمون. قالوا: ما الإسلام؟ فأجابوهم: الإسلام أن تشهد أن لا إله إلاّ الله وأنّ محمداً رسول الله، فتصبح أخاً لى وأصبح أخاً لك، ونتعاون على البر والتقوى. هل هناك شيىء مطلوب منىّ لأدخل فى الإسلام؟ لا، ما مطلوب منك شيىء، تعلن فقط (أن لا إله إلاّ الله وأن محمداً رسول الله) وتلتزم بأحكام هذا الدين، لأنّ الإسلام ليس فيه تعميد ولا طقوس لمن يريد الدخول فيه. و لا فيه شيئ من هذا.

وفى عصرنا وجدنا أناساً للأسف كما حكى لى أحد كبار المسئولين فى اندونيسيا فى أواسط السبعينيات قال: أرادت بعض القبائل فى أندونيسيا أن تدخل فى الإسلام فذهبوا إلى بعض المشايخ من العلماء الكبار، وقالوا لهم: نريد أن ندخل فى الإسلام، فقال لهم: تستطيعون أن تدخلوا بشرط، قالوا: وما هو الشرط؟ قال أن تختتنوا!! فأعرضوا عن الإسلام.

هذا إنسان خائب اعتبر الاختتان شرطاً، من قال: إن هذا شرط؟! يستطيع الإنسان أن يفعل هذا فيما بعد، و هو ليس من الأركان ولا الفرائض. إنما هو من سنن الفطرة.

فلابدّ أن يكون هناك عقل مسلم يستطيع أن يُدخل النّاس فى الإسلام.

اليابانيّون قريبون جداً منّا، وعندهم عادات طيبّة، من هذه العادات:

الحياء، الحياء صفة عامّة، اليابانى رجل حييّ، رجل مؤدّب مهذّب. لهذا لم أجد فى اليابان كلّها من يقبّل امرأة فى الطريق، كما وجدت ذلك فى أوروبّا وأمريكا، هذا المشهد لا يوجد فى اليابان تلقائيّاً.

هم أناس مؤدّبون، ويحترمون الكبير ويرحمون الصغير، كما هو شأن الإسلام: «ليس منّا من لم يرحم صغيرنا، ويوقّر كبيرنا»[1]. الكبير عندهم

---

(١) رواه أحمد، والترمذى واللفظ له، وابن حبان فى صحيحه، وصحّح شاكر إسناده، وقال الترمذى: حسن غريب، وفى بعض النسخ: غريب فقط، وتتمته: «ويأمر بالمعروف وينه عن المنكر» (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب: ٢ / ٦٤٥ برقم ١٣٨١).

يُحترم، بل كلّ سابق يحترم، يحترمون الأقدم: الأقدم سنّاً.. الأقدم فى الخبرة والوظيفة.. الأقدم فى الصف.. الذى يسبقك فى الصف يصير هو أولى منك فلا تحاول أن تتقدّم عليه.

ويحترمون الصغير، الطفل محترم عندهم جدّا، الرجل الكبير يقوم للطفل ليجلسه!

وعندهم النظام التعليمى يهتمّ بالأطفال اهتماماً بالغا، ليت بلادنا الإسلامية تحاول أن تستفيد من النظام التعليمى فى اليابان.

الأمريكان قالوا لليابانيين: تعالوا فانظروا فى مناهجنا التعليميّة وانقدوها، وماذا فيها من عيوب؟ وماذا فيها من نواقص؟ وماذا تقترحون للعلاج؟ الأمريكان فعلوا هذا، لأنّهم كانوا يرون أنّ نظامهم التعليمى يكاد ينهار، وكتب منهم من كتب كتاباً معروفاً تُرجم إلى العربية تحت عنوان: (أمة على حافّة الخطر).

ينبغى أن نستفيد من هؤلاء.

اليابانيّون يهتمون بشخصيّة الطفل وبناء شخصيّته، الأطفال - كما قيل لى - مسئولون عن مدارسهم، لا يوجد فى مدارس اليابان فرّاشون ولا فرّاشات! الأولاد هم الذين ينظّفون المدرسة ويجّملونها ويزيّنونها، ويحّملون الطفل هذه المسئولية.

ويحمّلونه مسئولية جماعيّة، يغرسون فيه روح الجماعة من أوّل الأمر: الألعاب ألعاب جماعيّة، العمل أعمال جماعيّة.

نحن فى حاجة إلى هذا الأمر، وهذه الروح.

قال لى أحد الإخوة: إن ابنه كان فى إحدى المدارس اليابانيّة وارتكب خطأ.. دفع المدرّسة فوقعت، فأخذته بالرفق، فعرفت بذلك والدته فقالت لها: لماذا لم تخبرينا بهذا الأمر؟ قالت لها: ولماذا أخبركم؟ هو ابنى كما هو ابنكم!

والطفل ينبغى أن نسامحه، إذا ارتكب عشر غلطات نسامحه فى تسع ونحاسبه على واحدة، ونأخذه بالرفق حتى يدع هذه الأشياء!!

انظروا إلى هذه الرحمة، وهذه العناية بالطفولة.

اليابانيّون عندهم فضائل طيّبة.

ولكن أيضا عندهم قدر من المادّية والفرديّة:

قال لى بعض الأخوة: يمكن أن يموت الرجل هنا جوعاً ولا يجد أحداً يمدّ إليه يد المعونة! وهذا ما لايمكن أن يحدث فى ديارنا طبعا.

ثمّ من ناحية أخرى: الآن غزتهم الحضارة الغربية، الجيل الجديد بدأ يتغيّر عن الأجيال القديمة، قد غزتهم أفلام الجنس وأفلام العنف الأمريكية. وذهاب الشباب إلى بلاد الغرب بدأ يؤثّر عليهم، ويفسد من أخلاقهم، ويغيرّ من طبائعم وسلوكياتهم، وهذا هوالخطر على هذه الأمّة.

المهم أيّها الإخوة: أننا فى حاجة إلى أن نعرف هؤلاء القوم، وأن ننشر فيهم دعوة الإسلام، وأن نبلّغهم رسالة الله.

نحن أمّة مسئولة عن تبليغ رسالة الله إلى العالم، نحن مسئولون عن هذا بصفتنا أمّة، وبصفتنا أفرادا.

نحن – كأفراد ينبغى أن نبحث عن هذا الأمر و يسأل كل منا نفسه: ماذا قدّمت أنا للإسلام؟ ماذا بذلت فى سبيل نشر الإسلام؟

أنت مسئول عن هذا، كلّ مسلم مطالب بهذا، لقول الله تعالى: ﴿ **ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ** ﴾[النّحل: ١٢٥]. هل دعوت إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة؟ هل جادلت بالتى هى أحسن؟ ينبغى على كلّ مسلم أن ينظر فى هذا الأمر.

ويوم نشعر بهذه المسئولية الكبرى سيتغيرّ الحال.

إنّ بلاد المسلمين وسوء أوضاعها، تقف حاجزاً فى سبيل نشر الإسلام،

لأنّهم يقولون: إذا كان الإسلام بهذه الصورة التى تعرضونها فلماذا نرى بلادكم على عكس ذلك؟ إذا كان الإسلام يدعو إلى العلم فما بال المسلمين جهلاء؟ وإذا كان يدعو إلى القوّة فما بال المسلمين ضعفاء؟ وإذا كان يدعو إلى النظافة فما هذه القذارة التى تضرب أطنابها فى بلاد المسلمين؟ وإذا كان يدعو إلى النظام فما هذه الفوضى؟ وإذا كان يدعو إلى التآخى فما هذه العداوة بين المسلمين بعضهم و بعض؟ وإذا كان وإذا كان.. الخ، فنحن الذين نقف عقبة فى سبيل الإسلام.

يجب أن نصحّح مسالكنا ونصلح من أحوالنا، وأن نجتهد فى نشر ديننا، ولن يترنا الله أعمالنا، والمستقبل لهذا الدين إن شاء الله ﴿ **يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ * هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ** ﴾

[التوبة: ٣٢، ٣٣]

أقول قولى هذا، وأستغفر الله لى ولكم، فاستغفروه إنّه هوالغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

* * *